جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد (١٤١)



النبى الخاتم ﷺ

أ. د / عبد الغفار حامد هلال

الجزء الأول

القاهرة

طبع أول ١٤٢٨هـ [illegible]

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

النبى الخاتم ﷺ

أ . د / عبد الغفار حامد هلال

الجزء الأول

العـــدد (١٤١)

القاهـرة

ربيع أول ١٤٢٨هـ ـ أبريل ٢٠٠٧م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

* ما ينشر فى هذه السلسلة يُعبر عن رأى كاتبـــه ،ولا يُعـــبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحق أحق أن يتبع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ،،،

فبعض الناس يطلقون لأنفسهم الحرية فى الرأى . ويتوسعون فيـــها لتدخل فى مجال محظور ، فليس من حق إنسان الخـــروج علـــى العقـــائد والقواعد وثوابت الأحكام الشرعية .

ففى الإسلام عقائد يجب الإيمان بها ، والتسليم بمضمونـــها وهـــى : الإيمان بالله تعالى ، والإيمان برسله والكتب التى أنزلها عليهم ، والإيمـــان بالملائكة وباليوم الآخر ، وأصول الشريعة الصحيحة .

وعلى رأس هذه العقائد الإيمان بوجود الله ، ووحدانيته ، وتنزهه عن الشرك فى الخلق والعبادة وأنه وحده الذى يملك الضر والنفع . قال تعالى : **﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن لـــه كفـــواً أحد ﴾** [(١)] .

---

(١) الإخلاص : ١ـ٤ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قل أغير الله أتخذ ولياً فـاطر السماوات والأرض وهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ قل إني أمـرت أن أكـون أول مـن أسـلم ولا تكونن من المشركين** ﴾ [1] .

ويجب الإيمان بأن الله تعالى اختار من عباده رسلاً مبشرين ومنذرين من قص علينا ومن لم يقصص ، قال تعالى : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيـها نذير** ﴾ [2] .

وهؤلاء الرسل الذين بعثهم الله إلى الناس ــ لهدايتـهم ــ طبيعتـهم بشرية مثل سائر الناس ، ولكن الله تعالى اصطفاهم ، وخصهم بما شاء من الصفات والتكوين حتى أصبحوا أهلاً لتلقي الشرائع الإلهية ، وأن يحفظـوا ما بُلِّغ إليهم كما تلقوه من غير زيادة أو نقص أو تغيير ، وقد بلغوا ما نزل إليهم إلى الناس ووجهوهم للعمل بمقتضاه وتطبيق مبادئه في الحياة .

وهم في ذلك كله مبلغون عن الله ــ عز وجل ــ معصومـون عـن الخطأ فيما يبلغونه عنه ، وهي درجة اصطفاء لا يرتفعون بها عن منزلـة البشرية ، قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجـاً وذرية** ﴾ [3] ، وقال عز حكمه : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنمـا إلهكم إله واحد** ﴾ [4] .

---

(١) الأنعام : ١٤ .

(٢) فاطر : ٢٤ .

(٣) الرعد : ٣٨ .

(٤) الكهف : ١١٠ .

ونحن نؤمن بهؤلاء الرسل كما أخبرنا الله تعالى عنهم مع أننا لم نرهم ، وهم غيب بالنسبة لنا ، لكنهم ليسوا غيباً عن أممهم الذين أرسلوا إليهم لأنهم رأوهم أو رآهم المعاصرون منهم للرسل ، والإيمان بالغيب واجب ، وهو أعلى درجات الإيمان كما قال جل شأنه : ﴿ **الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ..** ﴾ [1] إلخ .

فالرسل الذين اختارهم الله ، واصطفاهم ، وعصمهم فيما يُبَلِّغون عنه لا يصح تناولهم بغير ما ثبت لهم من الطهر والنقاء والعصمة في أداء الرسالة التي كُلفوا بها ، ولا يجوز أن يقتحم إنسان ساحتهم ، ولَن من ينال منهم يكون قد تنكب الطريق وضلَّ سواء السبيل .

ومن لا يحفظ للرسل كرامتهم ، ويصونها يكون كهؤلاء الذين تحدث القرآن الكريم عنهم وذمهم لأنهم آذوا رسل الله ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ..** ﴾ [2] . ومن يسيء إلى رسل الله بالافتراء عليهم يكون قد سلك مسلكاً سيئاً يستحق عليه الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ **.. والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ [3] .

ولذا يجب على المؤمن احترام الرسل وإعطاؤهم ما يستحقون من تقدير وتعظيم وإجلال ، لكن لا يجوز الخروج بهم عن طبيعتهم البشرية .

---

(١) البقرة : ١-٣ .

(٢) الأحزاب : ٦٩ .

(٣) التوبة : ٦١ .

فيأمر القرآن الكريم المسلمين إذا كانوا في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ ألا يخرجوا من المجلس إلا بعد استئذانه ، يقول سبحانه وتعالى : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾** [١] ويجب عليهم إذا خاطبوا الرسول ﷺ أن يراعوا أصول اللياقة والأدب والتكريم فيقول سبحانه : **﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾** [٢] . ويجب أن يكون الناس تبعاً للرسول فيما يأمر به أو ينهى عنه لا يتقدمون عليه بقول ، ولا بفعل . يقول المولى سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾** [٣] حتى الأصوات لا ينبغي رفعها في مجالسه ﷺ . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾** [٤] .

وفي هذه الأيام اجترأ بعض الناس على الكتابة عن (التحليل النفسي للأنبياء) وقد فهم هؤلاء الحرية فهماً غير صحيح ، واستغلوها بشكل ضار في التدخل في الدين وأحكام الشريعة ظناً منهم أنهم من أولي العلم لمجرد أنهم دارسون لبعض الأمور ، وقد سولت لبعض هؤلاء نفوسهم أن يقتحموا حرم المقدسات والأنبياء والرسل والكتب المنزلة عليهم وأصول العقيدة ،

---

(١) النور : ٦٢ .

(٢) النور : ٦٣ .

(٣) الحجرات : ١ .

(٤) الحجرات : ٢ .

وما كان يليق بهم أن يسلكوا هذا المسلك ، وكان الواجب أن يرعوا الإيمان بصحة الغيب وصحة الأخبار ؛ فكيف يزيف هؤلاء ما لا يليق بخصائص الرسل الكرام مع أنهم غيب عنا لم نرهم ، ولم يروهم ، وكيف تطبق مقاييس يتصف بها أفراد من البشر لم يعدُّوا للرسالة على هؤلاء الذين اصطفاهم الله وهيأهم لنقل وحيه ورسالاته للناس .

إن هؤلاء واهمون ولا يليق بهم الدخول إلى ما ليس من اختصاصهم كما أن بعض الناس اجترأ — أيضاً — بالنيل من سيرة رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وافتروا عليه ما هو من صفاتهم هم فرموا ساحته وأتباعه بالإرهاب ، وأنه وأتباعه يتصفون بالعنف والعدوان على الآخرين ، وكذبوا — فيما زعموا — وعليهم أن يقرأوا سيرته ﷺ ففيها المقنع لهم مما توهموه أو افتروه .

ولأن الرجل والمرأة فى أوروبا وأمريكا وغيرهما من بلاد غير المسلمين لا يعرفان إلا القليل من هذه السيرة وقد تصله مزيفة عليها غبار الكذب والافتراء . لذلك آثرت أن أعرض فى هذا الكتاب خلاصة وافية عن الرسول الكريم ودينه الحنيف ليطلع عليه الآخرون — فى لغته العربية — أو مترجماً إلى لغات العالم . ولعلهم يعرفون الحقيقة الناصعة التى تدمغ المكذبين والمفترين ولعل ذلك يقودهم إلى الاعتراف بالحق والدخول فيه .

فالإسلام هو دين العدل ، والحرية ، والمساواة ، والإخاء بين جميع الناس ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ [1] .

وهذا الكتاب يوضح السيرة النبوية العطرة للنبى الخاتم ﷺ ، وهو يتناول حياته ﷺ ، ومنهجه فى نشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وخصائص رسالته التى تؤكد صدق ما جاء به ﷺ عن الله عز وجل ، وقد قمنا بتقسيم الكتاب إلى جزءين ، نعرض فى الجزء الأول لبابين :

الباب الأول : (نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه) .

ونجيب فيه على أسئلة عديدة عن محبة الله ورسوله وعن ميلاد النور المحمدى والإرهاصات التى رافقت هذا المولد ، وكيف كان ميلاده ﷺ سقوطاً للشرك ، وإنقاذاً للبشرية ، وما الذى حدث للسيدة حليمة السعدية فى شأن إرضاعه ﷺ .

وكيف حدث شق صدره ﷺ ؟ وهل رعى الغنم ؟ وما أثر ذلك فى حياته ﷺ ؟

ما صفاته ﷺ ؟ وكيف أنه النبى المصطفى ؟ وتكنيته بأبى القاسم ، وتلقيبه بأنه حرز للأميين وأنه نبى الملحمة .

كيف كانت أخلاقه ﷺ ؟ وعلى أى أساس قامت ؟ وأنه الرحمة المهداة .

---

(1) الأحزاب : ٢١ .

وكيف كانت آدابه وسلوكه مع الناس ؟ كسلوكه مع من جذبه برداته ، وسلوكه مع من يصافحه ، وابتسامته لأصحابه ، ومشاركته للناس فيما يتكلمون فيه ، ومشاركته فى مهنة أهله ، ماذا عن زهده ﷺ فى حطام الدنيا ؟ وشظف العيش فيها واستبقاء الطيبات بما يدل على أنه لم يكن يبغى رياسة أو ملكاً أو سلطاناً .

والباب الثانى : (منهجه ﷺ فى الدعوة إلى الله) .

ونتناول فيه البعثة المحمدية . والذى أمر به ﷺ فى شرح دعوته للناس ؟ من أقاربه ، ومن أهل الكتاب ، بالحسنى ؟ .

وكيف تقوم الدعوة على أساس الحوار والنقاش ، وأن العقل يحظى فى الدعوة الإسلامية بمقدار كبير من التكريم ، وما كان يشيع من فكرة وراثة العقيدة ، وأن الإسلام أبطلها إذ أنها كانت خاطئة .

كيف وضح رسول الله ﷺ خطأ عبادة غير الله من الأوثان والأصنام وغيرها ، وكيف أثبت صحة عقيدة التوحيد ؟

وكيف حاول المشركون صرفه ﷺ عن الدعوة إلى التوحيد ؟ وماذا فعل معهم ؟ وما موقف عمه أبى طالب من دعوته ؟ وكيف حاوره ، وكيف ثبت ﷺ على المبدأ ، وثبت المسلمون معه ؟

كما يتناول الإجابة على أسئلة متنوعة حول تصميمه ﷺ على إنجاح دعوته وقوة إرادته وأنه فى سبيل ذلك كان يفكر فى طرائق متعددة لإسلام بعض أشداء قريش ، وما جرى من حديث إسلام عمر ، وحديث إسلام ركانة ، والمصافقة التى كان يتمتع بها رسول الله ﷺ وعقد الندوات بطلب

الخصوم ، وكيف كان ﷺ يسمع الاعتراضات ويجيب عليها ثم يطرح مسائل الدعوة وخصائصها ؟

وكيف كان حدبه ﷺ على المدعوين ، ورعايته لهم ؟

بيان أن الدعوة الإسلامية ليست دعوة العنف أو القسوة ، بل طريقها الحسنى والرفق والسماحة . ونماذج من معاملاته ﷺ مع عداس وسويد ابن الصامت ، وغيرهما .

وكيفية البحث عن أرض جديدة لنشر الدعوة ، وعرض نفسه ﷺ على بعض القبائل تمهيداً للهجرة وما نجم عن ذلك من بيعتي العقبة الأولى والثانية وأثرهما في التهيئة لانتشار الدعوة .

والحديث موصول – في امتداد هذا الكتاب – عن الهجرة إلى المدينة ، وحسن التخطيط لها وما أدت إليه من قيام الدولة الإسلامية .

وكذلك المعالم البارزة في الهجرة النبوية القمة على صدق عزيمة المهاجرين والصبر على المكاره ، والاعتصام بالله حين وصح قصور الحماية البشرية ، والتوجه إلى موطن جديدة ترعرعت فيها الدعوة ، وتحقق نصر الله فيها ، والتعاون بين المهاجرين والأنصار والقضاء على شح النفوس .

وكيف كانت التضحية من قبل المهاجرين بالأموال والأنفس وكيف حقق ذلك للمسلمين أن يملكوا زمام الدنيا وتتحقق لهم السيادة فيها .

وكيف كانت سياسته ﷺ في المدينة بحيث عمل رسول الله ﷺ على أن يكون المهاجرون والأنصار يداً واحدة .

وكيف آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار وآثار هذه المؤاخاة على الإسلام والمسلمين .

وكيف أبرم رسول الله ﷺ معاهدات مع يهود المدينة ، وكان عهده ﷺ أمانا لكل سكان المدينة من أصحاب الديانات الأخرى ، وكيف يعامل الإسلام أهل الذمة في بلاد المسلمين ؟

كما يتناول هذا الباب – أيضا – الجهاد في الإسلام ومنهج الرسول ﷺ في أن يكون القتال دفاعا لا هجوما .

وفيه نفند ما شاع بين بعض المستشرقين من أن الإسلام انتشر بحد السيف .

ونبين متى يلجأ المسلمون إلى القتال ، ومدى مشروعيته في الإسلام وأنه كان لدفع الظلم والعدوان

كما نتحدث عن أنصار المسلمين في بدر وهل كان الإسلام معتديا ؟ وما أسباب دفاع المسلمين في بدر ؟ وهل كان المسلمون وحدهم في الميدان أو أن الله تعالى أمدهم بجنود من عنده ؟

ونتحدث عن قدوم النبي ﷺ معتمرا في العام السادس من الهجرة وكيف وقفت قريش منه موقفا متعنتا لصده عن دخول مكة . وكيف عقد صلح الحديبية ، وماذا كان من الشروط القاسية على المسلمين ، وحكمة الرسول ﷺ في التعامل معها ، وفتح صلح الحديبية القلوب المتلفتة للإسلام .

ومن يقولون من أن صلح الحديبية كان سبباً في فتح مكة ، وهل كان توجيه الرسول ﷺ لفتحها في جيش كبير تسلطاً على أهل مكة أو كان مثلاً للرحمة بهم .

ونوضح أن هذا الفتح كان فتحاً سليماً لم تزق فيه الدماء وعفى فيه الرسول ﷺ عن مناوئيه ولم ينتقم من أحد ، فكان يوم الفتح يوم بر ووفاء .

ومنهجه ﷺ منهج تأمين الناس على حقوقهم وكيف كان له ﷺ من العلم والكرم ما أدى إلى إنجاح الدعوة ، مثل حلمه ﷺ مع صفوان بن أمية ، ومع أبي سفيان ، ومع بعض من اعترض عليه ﷺ في بعض تصرفاته وتقسيم بعض الغنائم

كيف يتناول هذا الباب ملاقاة الرسول ﷺ لبعض الوفود القادمين من بعض نواحي الجزيرة ، ليعم الإسلام جوانبها ، وكذلك كتب رسول الله ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى من العرب كيهود خيبر ، وقوم رفاعة بن زيد الجذامي ، ومخلاف خارف باليمن .

ويتناول ــ كذلك ــ منهج الإعلام الخارجي بإرسال كتبه ﷺ إلى ملوك العالم ودوله الكبرى آنذاك .

ونوضح هدف هذه الكتب وما تحتوي أرسلها إلى كسرى وهرقل والمقوقس ، وماذا كان ردهم عليه كذلك الكتب الأخرى التي أرسلت إلى غير هؤلاء .

وكذلك تصحيحه ﷺ الفهم لأحكام الإسلام وكيف كان يوجه من أخطأ في فهم الدين كالذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ كأنهم تقالوها . مبادئ فعل معهم ، وستره حال المسلمين حتى مع مخالفتهم له في الرأي .

وما هو مقرر من أن دعوة الإسلام هي دعوة التيسير على الناس وتجلى ذلك في تعامله ﷺ كحديثه مع الأعرابي الذي سأله عن الإسلام وفرائضه .

وحديثه مع معاذ بن جبل حين بعثه ﷺ إلى اليمن ونحو ذلك

وكيف كان الرسول ﷺ يجمع بين الترغيب والترهيب في دعوته للناس ، وما يشتمل عليه القرآن الكريم من هذين الأمرين وكذلك السنة النبوية المطهرة وماذا عن صفة التواضع في الإسلام ؟ وتواضع رسول الله ﷺ وأثره في الدعوة .

ومن الأمور المهمة بيان ما تشتمل عليه خطبة الرسول العالمية في حجة الوداع من المبادئ التي تدل على سماحة الإسلام وتعد وثيقة عالمية لحقوق الإنسان قبل أن توضع وتظهر وثائق حقوق الإنسان في العالم .

المؤلـــف



الباب الأول

نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه



حب رسول الله ﷺ

يجب علينا جميعاً ـ شرعاً ـ أن نحب الله تعالى ونحب رسوله محمداً ﷺ ويجب أن نعلم أولادنا حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ فذلك من أسس الإيمان ، ومن ذاق طعم هذا الحب عرف اللذة الحقيقية وحلاوة الإيمان قال عليه الصلاة والسلام : " **ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** " .

فحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ مقدم على حب الناس جميعاً من الوالد والولد ومن نفس الإنسان التي بين جنبيه واتباع رسول الله ﷺ فيما جاء به عن ربه من الكتاب والسنة هو علامة الحب الحقيقي لأن الحب ليس كلمة تقال دون أن يكون لها صدى وتأثير ؛ فإذا لم يكن لها صدى وتأثير ، ولم تجاوز الحناجر كانت نفاقاً لا حباً ، ومن أراد أن يعطى دليلا على حبه لله فليطع رسول الله وإذا أطاع رسول الله فتلك علامة الحب وطاعة العبد تؤدي إلى حب الله له ، وحب الله للإنسان علامة السعادة في الدنيا والآخرة ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ [(١)] .

---

(١) آل عمران ٣١

أما من عصى الله ورسوله ولم يعمل بما جاء في الكتاب والسنة فهو بعيد عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ويبغضه الله تعالى لإنكساره بنعم الله تعالى عليه وإذا أبغض الله عبداً أشقاه وحرمه من رحمته وكتب عليه التعاسة في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ [1] .

فعلينا أن نسارع إلى أداء فرائض الله تعالى علينا ونعلم أبناءنا وبناتنا أن حب الله وحب رسوله ﷺ واجب بالسلوك المستقيم والعمل الصالح النافع حتى نسعد بهذا الحب ونحقق التوفيق والنجاح في هذه الحياة . وننال أعظم الدرجات عند الله في الآخرة .

---

(١) آل عمران : ٣٢

الميلاد المحمدى وتصحيح مسار الإنسان

يمر بنا التاريخ لنتذكر يوم ميلاد نبى البشرية محمد ﷺ ، إن المقصود بذكرى هذا اليوم ذكرى إسداء التوجيه . والنصح ، والدلالة على الخير فى حياة المسلم كما قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ (١) .

إنه يوم ميلاد خاتم النبيين ، فحين قيل له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته ، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى لى ، ورؤيا أمى التى رأت .

لقد بدا النور المحمدى حين حملته أمه آمنة ، ووضعته ، ورأت هذا النور يخرج منها ، وينتشر حتى يضئ قصور بصرى بالشام . إن يوم ميلاده ﷺ كان يوماً مشهوداً دلت الإرهاصات على عظم مولده ، وحقيقة أمره ، يوم ميلاده ﷺ هزم الله تعالى أصحاب الفيل ، وردهم مدحورين ودافع عن البيت الحرام ، كان دفاع الله تعالى أقوى من الجيوش الجرارة حين قدمت الطيور تحمل القنابل الفتاكة بالداء العضال فكان حدثاً

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

له ما بعده من نصرة الحق ، واستقامة الحياة ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ [1] . أي كورق الزرع إذا أكلته الدواب أو كالتبن .

وقد قلت في ذلك :

فأبرهة الطاغوت إذ جاء جمعه

وأفياله قد آزرتها الجحافل

يريدون إخفاء الشعاع لشعلة

أضاءت عنان البيت منها القنادل

حمى بيته الرب القدير محصنا

ورد عداة الله عنه أبابل

يوم ميلاده ﷺ تصدع إيوان كسرى هذا القصر المشيد الذي كان يعج بالصهيل ، والمجون ، ويقوم عليه أحد جبابرة الأرض من الطغاة ، وبينما هو ومن حوله في غامر اللهو إذ بشرفات القصر تتهاوى كلها ، وهي كثيرة قيل إنها بلغت أربع عشرة شرفة ، كما يذكر كتاب السيرة ، وقد أرسل كسرى في الآفاق يبحث عن سبب هذا الانهيار ثم علم ـ بعد البعثة ـ أنه للنور المحمدي .

لقد كان ميلاده ﷺ سقوطا للشرك ، وعبادة غير الله ؛ فحين مولده ﷺ خمدت نار كسرى ، وكانت مؤججة أكثر من ألف عام لم تنطفئ ،

---

(١) الفيل ١ـ٥

وحولها عبدها من المجوس ، وكان هذا الخمود للنيران إيذانا ببدء المعرفة الإلهية الحقة بالعودة إلى التوحيد وشرع الله الذي يعد امتدادا للرسالات الإلهية كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (١)

وقلت في ذلك :

ونار تلظى بعد الفرس جمرها

تشب لها من ألف عام مراجل

وبينا عبيد النار يجثون حولها

إلههم المأفون بئس العبادل

أتى يوم ميلاد النبي فأخمدت

له نار كسرى واستشاط العواهل

تصدع إيوان كسرى وقد هوت

به شرفات حطمتها الزلازل

لقد كانت لحظة الميلاد المحمدي لحظة إنقاذ للبشرية من متاهات الشرود والضلال ، وتوجيها لها إلى الصراط المستقيم ، وكان مقدمه ﷺ قضاء على الجهل ، والتخلف ، وإقامة لبناء الإنسان بناء حضاريا سليما في هذا العالم على أساس من الفكر الحر ، والدعوة بالحسنى والحوار

---

(١) الشورى ١٣

والتفاهم ، لا بالسيف والاغتيال ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [1] .

وقد رسم طريق التواصل ، والتراحم بين الناس ، فهو القائل ﷺ : [إنما أنا رحمة مهداة] .

وقلت في ذلك :

وهذا رسول الله طفلا ومولدا
أزاح ستار الجهل كيف التجاهل

أقام بناء للحياة قوامه
تحاور فكر لا سيوف غوائل

وقرب بين الناس كي يتعارفوا
على وحدة يزداد فيها التواصل

---

(١) البقرة : ٢٥٦

مولد الرسول ﷺ
وكيف نحتفل به

إن الرسول ﷺ نور كما قال تعالى : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [1] . وقد كان هذا النور المحمدى فى ظهر آدم ــ عليه السلام ــ كما قال ﷺ : [كنت فى ظهر آدم وإن آدم لمنجدل فى طينته] وتنقل هذا النور حتى وصل إلى ظهر أبيه عبد الله ــ رضى الله عنه ــ يقول ﷺ : [إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار] .

وكان هذا النور ظاهراً فى وجه والده عبد الله حتى إن فتيات مكة كن يحرصن عليه الزواج منه لتحظى كل واحدة منهن بهذا النور إلى أن استأثرت بهذا النور والدته السيدة آمنة بنت وهب ــ رضى الله عنها ــ فأعرضت نساء مكة عن عبد الله لاستقرار النور المحمدى فى والدته الطاهرة ، وقد قالت السيدة آمنة حين حضرها المخاض : رأيت نوراً يخرج من بطنى فيضئ قصور بصرى بالشام .

(1) الأحزاب : ٤٥ــ٤٦ .

وما أنزل على النبي ﷺ من القرآن والسنة نور يهدي البشرية من ضلالها قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [1] .

وقد ولد ﷺ في يوم الإثنين ، ويحسن الاحتفال بهذا المولد الذي عم البشرية نوره وأنقذها من ضلالها وطهرها من الرجس والفسوق والعصيان إلى نور الطاعة لله الواحد سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [2] .

ويكون الاحتفال بقراءة سيرته وتذكر ما نزل عليه من الكتاب والسنة وتعلّمها وتعليمها ، والعمل بها ونشرها في الناس .

وقلت في ذلك :

قدوم إلى الدنيا به الدين كامل
ونور من العلياء بالوحي نازل

تجلى يعم الكون عدلاً ورحمة
وتملأ رحب الخافقين الفضائل

---

(1) الشورى ٥٢_٥٣

(2) الجمعة : ٢ .

أطل به والناس فى جاهليــة

يسامون بالبغضاء والظلم صائل

وعاث كثير يجعلون هواهــم

عبادة غير الله والعقــل غافــل

فقيل رسول سوف يظهر أمره

ويختم رسل الله والرشـد آيـل

رضاعته وشقّ صدره

أرضعته حليمة بنة أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث كما يقول ابن هشام : خرجت حليمة إلى مكة تريد طفلاً ترضعه مع صاحباتها وكان الكل يبعد عن محمد لأنه يتيم ، ولم تجد غيره وأخذته مضطرة وعندما عادت به وركبت رحلها جاء الخير اليها ؛ فانساب لبنها لترضع محمداً وأخاه وكان لبنها قد جف من قبل ، وأسرعت راحلتها وقد كانت لا تقوى على السير ، وعندما وصلت عم الخير ديارها ، وازدهر العشب لرعى غنمها بعد أن كان المكان مجدباً مما أثار عجب المحيطين بها

ويقول ﷺ : بينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى غنماً لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، ثم أخذاني ، فشقا بطني ، واستخرجا قلبي فشقاه ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبي ، وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه .

وهذا كان في حال الطفولة لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليُطهر من كل شئ ذميم ، حتى لا يلتمس بشئ مما يعاب على غيره من الناس ، وحتى لا يكون في قلبه شئ إلا توحيد الله تعالى .

قال : فرأيا عني — يقصد الملكين — وكأني أعاين الأمر معاينة .

وشُق صدره ﷺ بعد الكبر عندما أراد الله تعالى أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة ليلة الإسراء والمعراج .

وعن رعيه الغنم يقول : ما من نبي إلا وقد رعى الغنـــم ، قيــل ، وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا .

فقد كان يرعى الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة ، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة ، ذكره البخاري

وقد ردته حليمة إلى أمه ــ بعد حادث شق الصدر ــ وكانت ســـنه خمس سنين وشهوراً ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين إحداهما بعد زواجه من خديجة ــ رضي الله عنها ــ والمرة الثانية يوم حنين .

وقلت في ذلك :

محمــد لمــا أرضعتــه حليمــة
تفتــح ســر للرسالــة هاتــل

رأت لبنا يهمــي بثــدى رضــاعه
وكم أرضعت من قبل والثدى هامل

وعيرتها جلّت وقد كانــت مشبهــاً
وتيـداً وأعيــا عيــرهــن التثاقل

فأيقـــن بالخيــرات زوج حليمــة
وأبشــر إن الطفــل باليمــن نائل

وترعى سوام الناس في القفر مجدباً
ويعشب في مــرعى حليمة ماحل

وجبريل شــق الصدر أخرج مضغة
بوسوسة الشيطان والبرء عاجل

وكيف يروم النــاس حــظ نبــوة
هي المعجزات الباهرات الدلائــل

صفة النبى ﷺ

جاء في وصف الإمام علي لرسول الله ﷺ أنه كان ربعة من القوم أبيض مشرباً بحمرة ، أدعج العينين ، أهدب الأشعار ، شثن الكفين إذا مشى تقلّع (التقلّع . المشي بقوة) كأنما يمشي في صبب (الصبب : الانحدار) وإذا ألتفت التفت معا ، أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدقهم لهجة ، وأوفاهم بذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفي حديث آخر لعلي كرم الله وجهه (كان عرقه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالعاجز ، ولا اللئيم) .

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال لم يكن النبي ﷺ بالآدم ، ولا الأبيض الشديد البياض ، فوق الربعة ، ودون الطويل ، كان من أحسن من رأيت من خلق الله تعالى ، وأطيبه ريحا وألينه كفا

وقال أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن صفة النبي ﷺ كان أحسن الناس صفة وأجملها ، كان ربعة إلى الطول ما هو ، بعيد ما بين المنكبين أسيل الخدين (ليس مرتفع الوجنة) شديد سواد الشعر ، أكحل

العينين ، أهدب إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس أخمص ، إذا وضع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك يتلألأ . لم أر قبله ولا بعده

وفي حديث ام معبد الخزاعية : أن النبي ﷺ مـرّ بـها فـي أثنـاء هجرته ، وهي في خيمتها ، وكانت برزة جلدة ، تحتبي بفناء القبـة ، ثـم تسقي وتطعم ، فسألوها تمراً أو لحما يشترونه منها ، فلم يصيبوا شـيئاً ، وكان القوم مرملين (أي قد نفد زادهم) مُسنتين (اي داخلين في السَّـنة والجدب) فنظر رسول الله ﷺ الى شاة في كسر الخيمة (اي في جانبها) فقال : ما هذه الشاة يا ام معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين أن احلبـها ؟ قالت : نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بها فمسـح بيـده ضرعها ، وسمى الله ، ودعا لها في شأنها ، فتفاجّت عليه (أي مـا بيـن رجليها) ودرت ، واجترّت ، ودعا بإناء يربض الرهط ــ يرويهم حتـى يثقلوا الى يربضوا ــ الرهط من الثلاثة إلى العشرة) فحلب ثجـا (الثـج السيل) حتى علاه البهاء (وبعض رغوة اللبن) ثم سقاها حتى رويت ، ثم سقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب اخرهم (وفي رواية ثم أراضـوا : (اي ناموا على الأرض) ثم حلب ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء ، ثم غـادره عندها ، وبايعها وارتحلوا عنها فقلّما لبثت حتى جاء زوجـها أبـو معبـد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً (يتميلن من الضعـف) فلمـا رأى ابو معبد اللبن تعجب وقال : من أين هذا يا أم معبد والشاة عازب (بعيـد في المرعى) حيال ولا حلوب في البيت ؟ قالت : لا والله الا إنه مر بنـا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال صفيه لي .

قالت : رجل ظاهر الوضاءة (أى ظاهر الجمال) أبلج الوجه (مشرق الوجه مضيئه) حسن الخلق لم تعبه ثجلة (عظم البطن مع استرخاء أسفله) ولم تزر به صعلة (صغر الرأس) وسيم (مشهور بالحسن كأن الحسن صار له سمة) قسيم (الحسن قسمة الوجه) فى عينيه دعج (شدة سواد العين) وفى أشفاره وطف (طول) وفى صوته صحل (شبه البحة) وفى عنقه سطع (طول العنق) وفى لحيته كثافة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا يأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر (أى لا تزدريه لقصره فتجاوزه إلى غيره بل تهابه وتقبله) غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود (مخدوم) محشود (الذى يجتمع الناس حوله) لا عابس ولا مفند (المنسوب إلى الجهل وقلة العقل) قال : أبو معبد : فهذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

المصطفى ﷺ

يروى الإمام مسلم ـ بسنده ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : [إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم] .

وهذا كما اصطفى الله تعالى الرسل جميعاً ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (١) ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (٢) ﴿ قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴾ (٣) .

وهو ﷺ (مصطفى) من ناحية طهارة نسبه من سفاح الجاهلية ، ورباه مولاه على الفطرة النقية فلم يتدنس بشىء من أدناس الجاهلية منذ ولادته . ونقى قلبه وحفظه من الشيطان ، وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس بن مالك أن جبريل أتى النبى ﷺ وهو صغير فشق عن قلبه واستخرج منه علقة وقال . هذا حظ الشيطان منك .

---

(١) الحج ٧٥

(٢) آل عمران : ٣٣

(٣) الأعراف ١٤٤ .

كما عصمه ﷺ من أشياء كثيرة فحفظه من تسلط أعدائـــه عليــه : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـــوك ويمكــرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [١] . ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾[٢] . وكمل الحق سبحانه لرسوله ﷺ كل المحاسن من الخلق الحســن والخلــق العظيم وتذكر كتب السيرة شمائله ﷺ ، واصطفاه بالوحي ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكــن جعلنــاه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [٣] ، وجعله خاتم النبيين ﴿ ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رســـول الله وخاتم النبيين ﴾ [٤] ، وهو المكمل لبناء الأنبياء جميعاً ومظاهر اصطفـــاء الله تعالى لنبيه كثيرة لا يمكن حصرها .وهذا من حب الله تعالى له ، كمـــا يوجب ذلك محبة العباد له ﷺ .

---

(١) الأنفال ٣٠ .

(٢) النجم : ٢ .

(٣) الشورى : ٥٢

(٤) الأحزاب ٤٠ .

أبو القاسم ﷺ

هذه كنية لرسول الله ﷺ تكنى بها فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – فيما أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: [لا تجمعوا اسمي وكنيتي أنا أبو القاسم ، الله يعطي وأنا أقسم] كان رسول الله ﷺ يقسم بين أصحابه ما أفاء الله عليهم من الغنائم والنفل كما قال تعالى في غنائم بدر ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ [1] ، وقد قالوا إنه ﷺ كنّي باسم ابن له اسمه القاسم ، وكان له ﷺ أربعة من البنين هم الطاهر ، والطيب ، والقاسم ، وإبراهيم

ويجوز في الإسلام تكنية الرجل باسم ولد من أولاده فيقال أبو فلان ويجوز أن يكنى من ليس له أولاد ، ويجوز أن يكنى باسم من غير أسماء أولاده مثل أبي بكر ولم يكن له ابن يسمى بكرا وأبي حفص – كنية عمر ابن الخطاب – ولم يكن له ابن مسمى بهذا الاسم . وهل يجوز التسمية بكنية النبي ﷺ فيقال لشخص ما: أبو القاسم ؟ اختلف العلماء في ذلك فبعضهم منع لقول رسول الله ﷺ: تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ؛ فإنما أنا قاسم أقسم بينكم ، وعد هؤلاء التسمية بكنيته أمرا مكروها وبعضهم أباح ذلك ، لأن بعض الصحابة سموا باسمه ﷺ وكنوا بأبي القاسم ،

---

(1) الأنفال 1

وبعضهم منع الجمع بين اسمه ﷺ وكنيته كمفهوم بعض الأحاديث (لا تجمعوا) الخ ، وبعضهم قال إن ذلك جائز بعد وفاته ﷺ وكان ممنوعاً في حياته فحسب وهو الراجح

حرز الأميين ﷺ

يقول تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [١] . وروى البخاري عن عطاء ابن يسار قال : (لقيت عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال :أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل " .

والحرز هو الموضع الحصين ، وتقول :هو في حرز لا يوصل إليه ، ويقال : أحرزتَ الشيء : إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ ، واحترزت من كذا وكذا . إذا توقيته ، والحرز ما يلجأ إليه من مكان وغيره .

فالنبي ﷺ يحافظ على أمته ويجعلها في أمن وأمان وذلك بتلاوة كتابه المعجز والعمل بما فيه والانتفاع به :﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف

---

(١)الجمعة ٢ ـ ٤

وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرم عليــهم الخبــائث ويضــع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ [1] .

ويقول ﷺ : [أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون مــن يــدى] . وفى رواية وأنتم تقتحمون فيها ، فهو ﷺ بما جاء به عن ربه يحفظ الأمــة ويصونها ويمنع عنها كل ما يضرها أو ينال منها .

---

(١) الأعراف ١٥٧

نبى الملحمة ﷺ

عن أبى وائل عن عبد الله قال : لقيت رسول الله ﷺ في بعض طرق المدينة فقال : [أنا محمد وأنا أحمد وأنا نبى الرحمة ونبى التوبة وأنا الحاشر ونبى الملحمة] رواه الترمذى في الشمائل وإسناده حسن ، والملحمة لها أكثر من معنى :

قيل : هى الحروب ذات القتل الشديد يقال : ملأ لحم فلاناً أى قتله أو قرب منه حتى لزق به ، ولحمه أى ضربه فأصاب لحمه ، واللحيم : القتيل ، والملحم : الذى أسر وظفر به أعداؤه فمعنى (نبى الملحمة) أى نبى القتال ، وهو فى الحديث . بعث بالسيف وهو يقصد قتال أعدائه الذين اعتدوا عليه ، وأنه شجاع يرد كيد العدو فى نحره ، وكان إذا حمى الوطيس لم يكن أحد أقرب إلى العدو من رسول الله ﷺ ، وكان ينادى المنهزمين – فى أحد وفى حنين – قائلا : [يا عباد الله . أنا رسول الله – أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب] .

والمعنى الثانى لقولهم نبى الملحمة أى نبى الصلاح وتأليف الناس فهو الذى يؤلف أمر الأمة ويجمع المتفرقين منها ، فيقال فى اللغة : لحم الأمر : إذا أحكمه وأصلحه ومن ذلك . لحم الشىء يلحُمه لحماً وألحمه فالتحم لأمه ، والتحم الصدعُ والتأم بمعنى واحد ، ومنه لحمة النسب : القرابة التى يلصق فيها كل واحد بالآخر ، ويتصل به ، وعلى ذلك

فالرسول ﷺ هو هدى الأمة وجمعها على الخير ، والمحبة ، والمودة ، وحمس الصلة ، والقرابة ، وهذا يقتضي المخالطة والمداخلة وجمع الشمل دون التفرق ، ونزع البغضاء من القلوب ، وإصلاحها بما يؤدي إلى الوفاق والحب والتآلف بين الناس . وهذا ما جاء به ﷺ من الخير للجميع .

الشفيع ﷺ

إن عطاء الله تعالى لنبيه محمد ﷺ عطاء شمل حياته الدنيوية والأخروية ، فهو أشرف خلق الله ، وأكمل الناس خلقاً وأدباً ومنزلة رفيعة ثم هو بعد مماته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى حي تعرض عليه أعمال أمته فإن رأى خيراً حمد الله ، وإن رأى شراً استغفر الله لهم ، وهو ﷺ ادخر لأمته دعوته المستجابة فقال ﷺ : [**لكل نبي دعوة مستجابة ، وأدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**] ،وهي تشمل من مات من أمته ﷺ لا يشرك بالله شيئاً

وسيدنا محمد ﷺ صاحب المقام المحمود في الآخرة وهو ما نوه به الحق سبحانه بقوله تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ [1] .ونحن مأمورون بالدعاء له ﷺ بالمقام المحمود عقب كل أذان للصلاة (اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد) .

وهذه هي الشفاعة الكبرى ــ يوم القيامة ــ حين تدنو الشمس من الرؤوس ويصل العرق إلى مواضعه في كل إنسان ، ويرجو الناس

(١) الإسراء ٧٩

الانصراف من الموقف وإجراء الحساب ، وكما هو معلوم من حديث الشفاعة يقول كل نبي من أول آدم إلى عيسى عليهم السلام حين يرى أهوال القيامة (نفسي نفسي) ويأمرون الناس بالذهاب إلى الرسول الكريم محمد ﷺ فيقول : [أنا لها أنا لها] ، ويقول [أمتي أمتي] فيشفع في الانصراف من الموقف للناس ويشفع للمؤمنين في دخول الجنة وفي خروج عصاتهم من النار . وفي تخفيف العذاب عمن يشاء الله تعالى .

كان خلقه القرآن

إن الله تعالى يمكن في الأرض الذين يتخذون التقوى والصلاح والخير طريق للحياة وسلوكا لهؤلاء الذين يلتزمون بمبادئ الأخلاق التي تقوم على مراعاة العدل والبر والخير وحسن السياسة في الأمور كما قال تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ [١] .

وكما قال سبحانه : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾[٢]

وكما قال عز حكمه : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾ [٣] .

أما الذين يتبعون فساد الأخلاق ويتخذون الشر طريقاً لهم فيعتريهم الانقسام والذلة والخذلان وذلك يكون بفاسد العادات والتقاليد ، وقد قال ابن مسعود : (خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال . [هذا سبيل الله مستقيماً] وخط عن يمينه وشماله ثم قال . [هذه السبل ليس منها سبيل

---

(١) الأنبياء ١٠٥

(٢) الحج - ٤١

(٣) النور ٥٥

إلا وعليه شيطان يدعو إليه] ثم قرأ قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وأن **هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾** [1] .

ولذلك كان التمسك بشريعة الإسلام هو الخلق الأمثل الذي يقوم على حسن السلوك وخير الطرق للهداية والعمل المثمر وأن يكون مرجع الأمور كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا** ﴾ [2] .

فكل خلق قويم نافع مرجعه إلى القرآن الكريم وما كان يقوم به الرسول ﷺ من عمل وتوجيه وتنفيذ الأوامر والنواهي والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم ، وكان النبي ﷺ يضرب المثل في ذلك سواء كان ذلك فيما يلقيه من أقوال أو ما يقوم به من أفعال أو ما يقره من أمور ، وذلك مضمون ما يمكن تسميته بأخلاق الإسلام وهي تتمثل في القيام بتنفيذ ما أحل الله ، والبعد عما حرم الله، وأداء شعائر الدين فيما شرعه الله من العبادات ، وتنظيم الحياة الاجتماعية في جميع مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية على أسس ما جاء في القرآن وشرحته السنة النبوية المطهرة التي تمثل خلق رسول الله ﷺ في الالتزام والطاعة

---

(1) الأنعام ١٥٣

(2) النساء ٥٩

لكل ما جاء عن الله عز وجل وشرحه وفصله القرآن أو أجمله وجاءت السنة مبينة له وشارحة له ، وهذا يشمل عمل كل ما يؤدي إلى الخير وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن وإن يكون الإنسان مستقيماً كما أمره الله { واستقم كما أمرت }[1] . والقرآن الكريم إلى جانب ذلك يدعو إلى كل أنواع السلوك الحسن في معاملات الناس من الصدق والعفو والتواضع ومعالجة الأمور بحكمة وروية .

وينهى القرآن الكريم عن كل ما يخل بالمروءة والشرف كالكذب والنفاق والغش والحسد والرياء ، والعدوان على النفس والمال وتعاطي الخبائث وحذّر من كل القبائح التي تضر بالمجتمع والناس كالخيانة والظلم والزور .

وأمر بأوامر الوفاء بالعقود والعهود وحسن استثمار المال والعلم وتقديم الخير للآخرين .

كما أمر بحفظ الأمن والنظام وطاعة أولي الأمر والتقاء الأمة حول ما يصلح كل أحوالها .

كما أمر بالاهتمام بالسلام وترك الفساد في الأرض ، قال تعالى : { تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون }[2] .

وقال ﷺ : [إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ

---

(١) الشورى ١٥

(٢) البقرة : ١٨٧

حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها] [1] .

لقد قال القرآن الكريم عن الرسول ﷺ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾ [2] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [3]

قال القاضي عياض : إن فضله ﷺ أن الله أعطاه اسمين من أسمائه الحسنى فقال : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ ولم يعامل قومه في الدعوة إلى الله معاملة جافية

سألت السيدة عائشة النبي ﷺ قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

قال ﷺ : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة . إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب ـ قرن المنازل الآن ـ فرفعت رأسي ، فإذا سحابة قد أظلتني فنظرت ، فإذا جبريل ـ عليه السلام ـ فناداني فقال : إن الله سمع قول قومك لك ، وما ردّوا به عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت

---

(١) قال النووي : هذا حديث حسن .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) التوبة ١٢٨

فيهم ، فنادتني ملك الجبال . وسلم علي ثم قال : يا محمد ، إن الله تعالى قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين – تسمية لجبلين في مكة – فقال ﷺ : [بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً] (1) .

وعن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : [لن تُراعوا لن تُراعوا] ، وهو على فرس لأبي طلحة (زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس) عُرْيٍ ما عليه سرْجٌ ، في عنقه سيف ، فقال لقد وجدته بحراً أو إنه لبحر (أي واسع الجري مثل البحر) .

وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي ﷺ لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله ، فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان .

وعن عبد الله بن عمرو قال : لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ، وإنه كان يقول : [إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً] .

---

(1) رواه الشيخان

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي : أفٍ ، ولا لم صنعت ؟ ولا ألا صنعت ؟ (بمعنى هلا صنعت) .

وفي رواية : ما قال لشيء صنعته هذا كذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا كذا ؟

وعن الأسود بن يزيد قال . . سألت عائشة : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ــ بكسر الميم وفتحها ــ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ أن هذه الآية التي في القرآن . ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ [1] ، قال : في التوراة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) حرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صمًا ، وقلوبا غلفًا " .

وكل ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فهو السنة

وكل ما كان منها مقصوداً به التشريع والاقتداء به ﷺ مما ثبتت صحته هو مصدر للتشريع فكل شيء يحتاج إليه المسلمون في أمر دينهم ودنياهم مما يصلح حياتهم شرع لهم .

---

(١) الأحزاب : ٤٥

وطاعة الرسول من طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [1] . ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ [2] . ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [3] .

وسنته ﷺ بيان للقرآن : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [4] .

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل – رضي الله عنه – إلى اليمن قال له : [بم تقضي إذا عرض لك قضاء] ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : [فإن لم تجد] ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلوا ، فقال ﷺ : [الحمد لله الذي وفق رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله] .

والسنة تأتي مقررة ومؤكدة لما جاء في القرآن الكريم كالأمر بالصلاة والزكاة وسائر العبادات .

والسنة تأتي مفسرة ومفصلة لما أتى مجملا في القرآن أو لتضع بعض القيود والشروط كما جاءت السنة مبينة لأوقات الصلاة وكيفيتها وعدد ركعاتها وما يقرأ فيها إلخ .

---

(1) آل عمران : ٣٢

(2) النساء : ٨٠ .

(3) الحشر : ٧

(4) النحل : ٤٤

والسنة تأتى بأحكام جديدة فيما لم يذكره القرآن مثل التحريم من الرضاع (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وكذلك حديث الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة إلخ . وهذا ما أشار إليه الإمام الشافعى فى رسالته ـ فى الأصول ـ ونذكره تفصيلاً فيما بعد .

الرحمة المهداة

حكى رسول الله ﷺ رحمته بأمته فبين أن الله تعالى يرحم بعض الأمم برسلها في حياة الرسل وبعد مماتهم كما أن الله تعالى يعذب بعض الأمم فيهلكها ونبيها حي يرى ما ينزل بهم من الهلاك والدمار لأنهم كذبوا رسولهم .

روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : **[إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقرَّ عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره]** .

والأمة التي يرحمها الله تعالى يعيش معها نبيها مدة من الزمن ثم ينتقل إلى رحاب ربه ، والرسول في حال الحياة وبعد مماته مصدر نفع لأمته فالأمة الإسلامية مرحومة برسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته ولذلك يقول ﷺ : **[حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ، حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم ، ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم]** . فهو في مصلحة الأمة يرعاها ويحافظ عليها في مسيرة حياتها أما الأمم التي كذبت رسلها فإن الله تعالى عذبها وأهلكها لتكذيبها رسلها كقوم نوح الذين دعا عليهم:

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾[1] فأغرقهم الله تعـــالى تحت سمع وبصر نبيهم نوح ـ عليه السلام ـ ، وقــوم عــاد أهلكــوا ـ لتكذيبهم نبيهم ـ بريح صرصر عاتية ، وقوم ثمـــود أهلكـــوا بالصيحـــة لتكذيبهم نبيهم صـالحاً ، وقوم لوط قلب الله تعالى بسهم مدنـهم وأمطر هـــم بحجارة من سجيل لتكذيبهم نبيهم لوطاً عليه السلام ، وكل هذا وأنبيـــاؤهم يرون العذاب الذي حل بهم نتيجة عصيانهم .

أما رسول الله ﷺ فهو رحمة كما قال تعـــالى : ﴿ ومـــا أرســلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[2] وحين جاءه ملك الجبال ـ وهو في الطــائف ـ وقال له إن شئت يا محمد أطبق عليهم الأخشبين ـ وهما جبلان في مكة ـ ليهلك أهل مكة الظالمين ـ قال له النبي ﷺ : [لا وقال : اللهم اهــد قومي فإنهم لا يعلمون ، لكل نبي دعوة مستجابة وأدخر دعوتي شـــفاعة لأمتي يوم القيامة] .

---

(1) نوح ٢٦

(2) الأنبياء ١٠٧

آدابه وسلوكه مع الناس ﷺ

عن أنس قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذا شديدا حتى نظرت إلى صفحة عاتقه قد أثرت بها حاشية البرد ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه النبي ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء متفق عليه .

وكان رسول الله ﷺ إذا صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع ، وإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ولم يُرَ مقدما ركبته بين يدي جليس له .

وعن ثابت بن أنس : ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ (أي : جعل فمه يحاذي أذنه ﷺ للإفضاء بالسر فيتنحىَّ رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، وما رأيت رسول الله أخذ بيد رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده [1] .

وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم ، متفق عليه وسئل جابر بن سمرة : أكنت تجالس النبي ﷺ ؟ قال : نعم كثيراً كان لا يقوم من

---

(١) رواه أبو داود

صلاته حتى تطلع الشمس وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم [1] .

وقال زيد بن ثابت : كنت جار النبى ﷺ فكان إذا نزل الوحى بعث إلىّ فآتيه فأكتب الوحي ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا

وعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : كان رسول الله ﷺ إذا كان فى بيته يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ويحلب شاته ويخدم نفسه .

وقال أنس : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع الطفل .

---

(١) رواه مسلم

زهده ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ (١) .

دخل عمر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على حصير فأدنى عليه إزاره وإذا الحصير قد أثر في جنبه ، ورأى قليلاً من شعر وبعض الجلود فابتدرت عيناه فقال رسول الله ﷺ : [ما يبكيك يا ابن الخطاب] ؟ فقال عمر : يا رسول الله وما لي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته وهذه خزائنك وكسرى وقيصر في الثمار والأنهار ، وأنت هكذا ، فقال ﷺ : **[يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا]** ؟ قلت:بلى يا رسول الله،قال:[فاحمد الله تعالى]رواه مسلم .

وفي رواية أخرى قال : **[ما لي وللدنيا ، إنما إنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها]** .

وكان ﷺ لا يحتفظ بشيء من المال وإنما ينفق كل ما يأتيه على رعيته فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : [لو أن لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن تأتي على ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين] (٢) .

---

(١) طه ١٣١

(٢) أخرجه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ــ أيضاً ــ قال رسول الله ﷺ : [اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً] (١) .

وكانت عائشة ــ رضي الله عنها ــ تقول : " ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز برٍّ حتى توفي " (١) .

وعنها ــ أيضاً ــ قالت : " كنا يمر بنا الهلال والهلال ما نوقد بنار لطعام إلا التمر والماء " (٢)

وعنها ــ أيضاً قالت : " دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال : [ما هذا يا عائشة] ؟ قلت : فلانة رأت فراشك فبعثت إليَّ بهذا ، فقال : [رُدِّيه يا عائشة] قالت : فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات قالت : فقال : [رديه فو الله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة " (٤) .

وكان المال الذي يأتيه يشبع الجائع ويكسو العادي ويُسكن من لا بيت له . وكان ﷺ يواصل في صومه ، ويبقى أياماً لا يأكل ، وينهى عن الوصال . ويقول : [إني لست مثلكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني] .

---

(١) أخرجه مسلم والبخاري

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد

الباب الثانى

منهجه ﷺ فى الدعوة إلى الله



البعثة المحمدية

الدعوة السرية للرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ حكيما فى نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى الناس ، فقد أخذ ـ أولاً ـ جانب النشر السرى لدى أهله ، وأصدقائه ، وعشيرته الأقربين ، فلما أتاه جبريل فى غار حراء قائلا اقرأ ، فقال له ما أنا بقارئ وما زال به حتى قال الرسول ﷺ لجبريل ماذا أقرأ ؟ فقال له جبريل ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [1]

ثم علم أن الذى أتاه هو جبريل .

وذهب ـ بعد ذلك ـ يقص أمره على زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها ـ فقالت له : أبشر ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، وذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه ما حدث ، فأخبرها أن هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى ـ عليه السلام ـ وإنه لنبى هذه الأمة .

---

(1) العلق ١ ـ ٥

فمضى رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام ، فدعا أولاً ـ كما ذكرت ـ من قبل ـ أهله ، فآمنت به السيدة خديجة ، وآمن به علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وكان يصلي مع النبي ﷺ خفية عن أعين الناس

وكان ﷺ يكلف بعض من يثق فيهم ممن أسلم وآمن به ﷺ أن يبلغ بعض من له بهم صلة فكلف أبا بكر الصديق هذا الصحابي الجليل الذي لم يتردد لحظة واحدة بمجرد سماعه دعوته ﷺ . وقد قال فيه عليه الصلاة والسلام : **[ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة (أي تأخر وعدم إجابة) ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما تلبث حين ذكرته له ، وما تردد فيه . فنشر الدعوة بين أصحابه وخلصائه الذين يستطيع التأثير فيهم]** ، وكان هذا نشراً سرياً للدعوة التي ما زالت في مهدها تحتاج إلى تقوية ، ومؤازرة لينضم إليها بعض من يطلعون عليها من ذوي النفوس الصافية حتى يكونوا أداة للدعوة ودرعاً لها يحمونها من الانطفاء والوأد في المهد .

وهذا تصرف حكيم ، ومنهج رشيد ، فالدعوة الناشئة تحتاج إلى حضانة ودعم . ولا سيما أن الكفر منتشر حولها ، وعبادة الأصنام وغيرها أمر سائد في المجتمع الجاهلي ، فكيف يعلن محمد ﷺ الدعوة جهراً وسط هذا الركام من الجهالة والعناد والجمود والصلف ، فلابد أن يسلك الطريق السري

وقد نجح أبو بكر الصديق في التأثير على صفوة من الأعلام الذين كان لهم السبق إلى الإسلام مثل عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ،

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، وغيرهم من الصفوة التي ساندت الدعوة الإسلامية في مهدها ، وجعلتها تقوى ، ويشتد عودها .

وقد كان هؤلاء الأعلام مقبلين على الإسلام ودعوته إقبالاً كبيراً ، واتجهوا إلى الإسلام ، والتقوا برسول الله ﷺ ليؤكدوا له أنهم في تيار الدعوة ومسارها ، وقد شرح الرسول الكريم لهم ولغيرهم أهداف هذه الدعوة التي يدعو إليها وهي إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور معرفة الله وتوحيده .

هذه الدعوة الصحيحة تخرجهم من جاهليتهم وما كانوا فيه من عبادة الأصنام ، وأكل الميتة ، وإتيان الفواحش ، وقطع الأرحام ، وإساءة الجوار ، واعتداء القوى على الضعيف ، وتوجيههم إلى توحيد الله وعبادته وخلع ما كانوا عليه هم وآباؤهم من عبادة الحجارة والأوثان وأمرهم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم وسفك الدماء ، والانتهاء عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، والأمر بالصلاة والزكاة والصيام .. إلخ .

وقد أخذت الدعوة هذا الأسلوب السرى مدة من الزمن استطاعت فيه أن تحظى بتأييد أصحاب العقول الراجحة من الرجال والنساء . واستمرت الدعوة على هذا ثلاث سنين .

وما كان من الممكن أن تأخذ الدعوة صورة العلن وإلا قوبلت بالإنكار والتهديد .

الدعوة العلنية

كان لابد للدعوة بعد أن حظيت بالتأييد المتتالي ، وبعد أن دخل في دين الله أفواج من الناس أن تأخذ طريقها المرسوم بالطريق العلني حتى يتحقق لها الانتشار والذيوع .

ولا ريب أن الرسول ﷺ في إعلان الدعوة كان مستجيباً لأمر ربه في نقلها من السرية إلى العلنية قال تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ [1] .

أمر ﷺ أن يعرق بين الحق والباطل ، فيشرح للناس دعوته ، وأسسها التي جاءت وقامت عليها : من عبادة الله الواحد ، ونبذ عبادة غير الله ، ولم يتخذ النبي ﷺ منهج القوة في فرض العقيدة على الناس ، بل كُلف بأن يشرح لهم أصول دعوته ، ويقيم الأدلة على صدق الدعوة ليبين الحق من الباطل في أسلوب مهذب ، وخلق حميد ، ونص هادئة هادفة فلا يحاول فرض الأمر بالكبرياء ، أو العطرسة ، فالناس عادة ينفرون من الداعية إذا كان مندفعاً إلى دعوته بالقوة . أو الجبروت أو السلطان .

فلابد من الحسنى في القول والعمل ، ولابد من حسن التوجيه ، والنصح لتنجح الدعوة ، فهذا محمد ﷺ يدعو عمه إلى الإسلام فيقول له : [أنت يا عمّ أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من

(١) الحجر : ٩٤ .

أجابني إليه ، وأعانني عليه] فهو ﷺ يستخدم أسلوب اللين ، ويستعمل طرق الترغيب مستحثاً فيه همته ، وصلة قرابته ، وأن من الواجب عليه لعمه أن يوضح له طريق الهداية أكثر من غيره من الناس ، إذ أحقُّ الناس بالنصح هم أهل الإنسان قبل غيرهم من بني البشر فيستلين من صلابته ، ويأخذ من تفكيره ما يدعوه إلى الإجابة .

ومن لم يستجب للإرشاد والنصح فالأمر بالحسنى هو السبيل إليه ، لا بطش ولا جبروت ، ولا استعمال للقوة ، ولا تهديد ، كل إنسان حرٌ فيما يختار من عقيدة في حدود ما لا يضر بالآخرين ، وكل إنسان حرٌ في اعتقاده لا يكره على الدين قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [1] .

وهناك كانت الدعوة لجميع الناس بالحسنى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [2] .

والحوار والنقاش في الإسلام له آدابه وله أهدافه ولا بأس أن يستفسر الإنسان عن شيء إذا كان يقصد إلى معرفته والاهتداء إلى الصحيح منه إذا وضحت الأدلة وصحت ويكون ذلك بالاستفهام وتلقي الإجابة والإنصات إلى من ينصح ويوجه ويشرح ويوضح .

---

(١) البقرة ٢٥٦ .

(٢) النحل : ١٢٥

وقد أمر الرسول ﷺ بأن يكون جداله مع أهل الكتاب بالحسنى ، وأن يغلق باب النزاع في الرأي فقال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » [١] .

وكان الرسول ﷺ يشرح لأهل الكتاب أدب الحوار ويبين لهم أن لكل من الفريقين عمله الخاص الذي سيجازى عليه في إطار العقيدة الصحيحة قال سبحانه موجهًا هذه التعاليم إلى الرسول ﷺ وإلى الأمة الإسلامية ليمسكوا عن الجدل ويسمعوا منه أهل الكتاب . « قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون » [٢] .

(١) العنكبوت : ٤٦

(٢) البقرة : ١٣٩

الدعوة شرح وتفصيل وبيان

كان ﷺ – في سبيل نشر الدعوة – يوضح أصل العقيدة ، وهي عبادة الله تعالى ، والإعراض عن عبادة غيره ، لأن المعبود بحق هو الخالق الذي أوجد الناس من العدم ، وهو الرزاق الذي تكفل بأرزاق عباده . « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »[1]

وهنا لابد من مخاطبة العقول التي تعي ، وتقدر . فالعقل يحظى في دعوة الرسول ﷺ بالعناية والتقدير . كيف يعبد الإنسان حجرا أو شجرا أو ماء أو حيوانا أو نارا أو غير ذلك مما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، فضلا عن أن يملك لغيره ؟ .

وقد انحرفت العقيدة بالناس في فترة من الزمن طال فيها العهد بالرسالات ، فلما جاء محمد ﷺ كان مكلفا برجعهم إلى الصواب ، وإلى الجادة ، ولن تقتضي ذلك منه أن يغير فكرة ورثته العقيدة ، فالعقيدة لا تورث ، ولكن تناقش بالحجة والبرهان ، فإذا ثبت أن السابقين كانوا على حق اتبعناهم ، وإذا تبين ضلالهم أعرض الأبناء عن عقيدة الآباء الفاسدة الباطلة

---

(١) الذاريات ٥٦ – ٥٨

وراح الرسول ﷺ يوضح ما كان عليه الناس من ضلال ويأمرهم بالبعد عن عبادة الأصنام وغيرها حتى يثوبوا إلى رشدهم بعبادة الله وحده ، ولاقى في ذلك أذى كثيرا من بعض الكفار الذين لم يتركوا لعقلهم أن يفكر ويتدبر ، ويعرف الصواب من الخطأ ، وهذا أدى بالكفار إلى ثورة على الدعوة بعصبيتهم وانفعالهم ، فاتجهت نيتهم إلى إيذاء الرسول ﷺ والوقوف في سبيل دعوته بشتى الطرق والوسائل ، وحاولوا جاهدين إبعاد عمه أبي طالب وذوي قرباه عن مناصرته .

شرح الرسول ﷺ للناس بطلان عبادة غير الله من تلك الأوثان والأصنام التي أشركوها مع الله وكانت متوارثة لديهم وبين لهم بالقرآن الكريم أنها ضلال وغيٌّ منذ عهد النبيين السابقين وأن عبادتها إثم كبير فقد حل العقاب بقوم نوح لما انصرفوا عن عبادة الله إليها . ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا * وقد أضلوا كثيرا ﴾ [1]

وذكر البخاري عن ابن عباس قال : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب وسموها بأسمائها ثم عبدوها بعد جهلهم بالديانات الإلهية التي كانت قد بقيت منها بقايا من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة .

---

(١) نوح ٢٣ ، ٢٤

وقد أوضح لهم الرسول ﷺ أن الذي يعبد بحق هو الله تعالى الذي كانوا يعترفون بوجوده ويلوذون له بالحج كما قال تعالى : « **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** » [1] .

وقد بين الرسول ﷺ لهم أن هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر ومن يحكم عقله وتفكيره يدرك ذلك ، وأبطل الرسول لهم ما كانوا يجعلونه من مخصصات هذه المعبودات في أموالهم . قال تعالى : « **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون** » [2] .

وبين خطل القول بتعدد الآلهة الذي كان المشركون يعتقدون وكانوا يعيبون أن يكون الإله واحدًا فيما جاء على لسانه ﷺ قائلين : « **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** » [3] .

فبين لهم بالحجج والبراهين القاطعة أن الإله واحد لا متعدد وأن نظام هذا الكون البديع يقتضي كون الإله واحدًا : « **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** » [4] .

---

(١) يوسف ١٠٦ .

(٢) الأنعام ١٣٦ .

(٣) ص ٥ .

(٤) الأنبياء ٢٢ .

وقال سبحانه : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلمًا لرجل هل يستويان مثلا ﴾ [١] . إن ذلك كان طريق البيان الذي أعاد العقول السليمة إلى صوابها

---

(١) الزمر ٢٩

الصبر على الإيذاء ومقابلته بالهدوء والسكينة

إن صاحب الدعوة يجب أن يكون صبورا جلدا ذا عزيمة قوية ، ونفس مطمئنة ، وملاطفة ، وحسن توجيه . فكفار مكة قد آذوا النبي ﷺ أشد الإيذاء ، وطالما كادوا له ، وقالوا في شأن دعوته ما لا يحتمله داعية ، ولا يمكن أن يقبله . فالوليد بن المغيرة اجتمع مع نفر من قريش ، وحاولوا النكاية به ﷺ بوصف دعوته بأوصاف تصرف العرب عنه ولا سيما من كانوا يقدمون في مواسم العرب ، فوصفوا الرسول الكريم بالكهانة ، والجنون ، والشعر ، والسحر ، واستقر رأيهم على أنه سحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته .

وأخذوا يجلسون بسبيل الناس حين يقدمون الموسم ، ولا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره .

ونزل في شأن الوليد قوله تعالى : « **ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ***

سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقى ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر ﴾ (١) .

وكانوا يريدون بذلك تشويه الدعوة الإسلامية لكن بسبب الصمود القوى الإراده قلب هذه الأوصاف إلى أوصاف حسنة بحسن تصرفه ، وعقله الراجح وصبره الجميل .

وقد اجتمع فريق من قريش عند الكعبة ، وذكروا رسول الله ﷺ فقالوا " ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وبينما هم في ذلك الكلام إذ طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ــ في الكعبة ــ ثم مر بهم طائفًا بالبيت الحرام ، ولكن القوم لم يكفوا عما هم فيه من نيل منه بل غمزوه ببعض القول كلما مر بهم ، ولكنه وقف مبتسمًا لهم على خطئهم ، ومبينا أن طريق النجاة إنما هو في اتباعهم له .

وذات مرة اجتمعوا حوله وقالوا له : " أنت الذى تقول كذا وكذا عن عيب آلهتهم ، وسبهم ، فيقول الرسول ﷺ [نعم أنا الذى قال ذلك] ، فأمسك رجل بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى ، ويقول ﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ﴾ (٢)

ثم إنه ﷺ كان هادئ النفس ، لا يثور ، ولا يحور ، ولا يطبع نفسه على طباعهم حتى استقام له أمر الدعوة ، وصلاحها

---

(١) المدثر ١١ ــ ٣٠

(٢) غافر ٢٨

النقاش والمفاوضة
بما يؤكد صدق دعوته ﷺ

كم جرى من النقاش ، والمفاوضة بينه ﷺ ، وبين زعماء قريش ، وكان منهجه حكيمًا في أن ينصت لكلام الخصم ، ويسمع وجهة نظره ولو كانت خطأ ، ثم يعقب على الحوار بما يوضح صدق دعوته ، ونبوته

حاول زعماء قريش أن يصرفوه ﷺ عن دعوته بكل الوسائل ، بالإغراء الواسع في أمور الدنيا بترغيبه في جمع المال له ، أو تنصيبه ملك ، أو مداواته إن كان به داء حتى يستطيعوا أن يجذبوه إلى ساحة الكفر ، ويبعدوه عن أداء رسالته ، فما استطاعوا

جاء إليه ﷺ عتبة بن ربيعة موفدًا من قبل زعماء قريش ، فقال له يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة ، والمكان في النسب ثم قال للرسول ﷺ . اسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها ، فقال رسول الله ﷺ - **[قل يا أبا الوليد أسمع]** قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا

الذي يأتيك رئيًا (يعني من الجن) لا نستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى يبرئك منه ".

فلما فرغ عتبة من كلامه قال له الرسول ﷺ : [**أقد فرغت يا أبا الوليد ؟**] قال : نعم . قال : [**فاسمع مني**]، قال : افعل ، فقال ﷺ : **ما بي شيء مما تقولون ، ما جئت أطلب أموالكم . ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا . وأنزل عليّ كتابًا . وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**، ثم تلا قوله تعالى في أول سورة (فصلت) **﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾** [1].

ومضى في السورة يقرؤها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت له يسمع .

ثم قال له النبي ﷺ : [**يا أبا الوليد قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك**]

هذا هو الحوار الهادف الذي أوضح أن دعوته ﷺ من عند الله ، وأن القرآن كلام الله ، وأنه دعوة الحق إلى الناس ، وعلى ذوي العقول الراجحة التفكير فيه دون إكراه أو إجبار .

---

(١) فصلت : ١ - ٤

منهج للدعوة يوضح كيف يدار الحوار والمفاوضة فيها :

والداعية الحقيقي يجب عليه ألا يقطع على الناس كل طريق للسؤال ، بل يتركهم يسألون ، ثم يوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم حتى إذا كانت الأسئلة خطأ كتلك الأسئلة التعسفية التي حكى بعضها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولا** ﴾[1].

وقد جلس الرسول ﷺ يومًا في المسجد فجاء النضر بن الحارث ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون** ﴾ [2] .

---

(١) الإسراء ٩٠ ــ ٩٤

(٢) الأنبياء ٩٨ ــ ١٠٠

الثبات على المبدأ

إن الداعية إلى الله لابد أن يكون مؤمناً بما يدعو إليه عارفاً أنه الحقّ مستعداً أن يبذل في سبيله كل غال ونفيس ، فإذا كان هكذا كتب لدعوته النجاح ، أما إذا كانت دعوته لحاجة شخصية يبغيها من ورائها من منصب أو جاه أو سلطان ، أو منزلة ، ولم تكن دعوته مبنية على أساس من الصدق مع النفس ، والإيمان بها لذاتها فهي ــ لابد ــ ضائعة ومتهاوية .

وكان ﷺ من النوع الذي آمن بدعوته ، وعرف حقها عليه ، فراح يبذل كل ما في وسعه لإنقاذها حتى يظهر أمر الله ، وتتحقق المصالح الشرعية التي جاء من أجلها .

فمن نعرف أن قومه ــ لما وجدوا فيه إصراراً على دعوة المساس إلى الله الواحد ، والانصراف عن الشرك والضلال ــ حاولوا صرفه عن دعوته ، وبذلوا في ذلك طرقاً من الترغيب تارة ، والترهيب تارة أخرى .

لقد قالوا لعمه أبي طالب : " إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله حتى يهلك أحد الفريقين " .

ولما سمع أبو طالب مقالتهم هذه بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق " فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا

لعبته فيه بداء ، وأنه حادله ، ومسلِّمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " .

ولما وجد أبو طالب من الرسول الكريم إصراراً على دعوته ، والتمسك بها قال له : اذهب – يا ابن أخى – فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لأحد أبداً .

فكان الكفار – مع ذلك – يعذبون المسلمين ، ويحاولون منعهم عن دينهم ، لكن الله تعالى منع رسوله منهم بعمه أبى طالب ، وثباته على مبدئه .

كل ما كان مما لقيه المسلمون من التعذيب والأذى فى سبيل إسلامهم كبلال وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت ، وغيرهم حتى اضطروا إلى الهجرة أولاً إلى الحبشة ، وثانياً إلى المدينة

وكان المشركون يتتبعون آثارهم حتى فى دار هجرتهم فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً قرروا أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشى لكى يرد المهاجرين إلى أهل مكة فيفتنوهم عن دينهم وكان أن بعثوا عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص – قبل إسلامه – ومعهما هدايا إلى النجاشى ولكنه لم يقبل عروضهم برد المسلمين معهما وردهما خائبين بعد أن تبين

له من كلام المسلمين أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق المبين ورد عليهم هداياهم وقال : لا حاجة لي بها

إن الله تعالى قد أكرم نبيه والمؤمنين معه ، لأنه ﷺ بقي على مبدئه الذي أرسله الله تعالى به ، وثبت المؤمنون على عقيدتهم فلم يفرطوا فيها ولم يرهبهم عنت المشركين ولا عدوانهم ولا استيلاؤهم على ديارهم وأموالهم ، وأحاط الله تعالى رسوله بنصرة الناصرين من عمه وغيره .

استعمال النصح المقرون بالتصميم والإرادة حين يتطلب الأمر ذلك

لم يكن الرسول ﷺ خوارًا ، ولا جبانًا ضعيفًا ، بل كان قوى الإرادة ، والعزيمة ، شجاعًا في نصرة الحق الذى جاء به

ولم يكن يضع نفسه فى إطار الدعوة موضع الذى ينتظر العون من غيره ، والدفاع عنه إذا تعرض للإيذاء

فإبان نشأة الدعوة ، وهى تحتاج إلى شد الأزر ، والمعونة ، كان المصطفى ﷺ يفكر فى طرق متعددة لإسلام بعض أشداء قريش الذين يمكن أن تفيد الدعوة من حمايتهم لها ، فالحق لا بد له من قوة تحميه ، وتدافع عنه .

لعمرك لو أغنى عن الحق أنه هو الحق ما قلم الرسول بقاتل

ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه من الناس ما لم يلق أحمق جاهل

أقمه وأسنده ودعم بناءه وذد عنه ذود الليث والليث صائل

وفي الوقت الذى أوذى فيه المسلمون إيذاء شديدًا وجه الرسول الكريم من يناله الأذى من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة .

وكان الرسول ﷺ يدعو : **(اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب)** .

وفي قصة إسلام عمر – كما نعلم – كانت فاطمة بنت الخطاب – أخت عمر رضي الله عنه – قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل سرا ، وكان خباب بن الأرت يأتيهما ليقرئهما القرآن بين الحين والآخر .

وذات يوم خرج عمر بن الخطاب يريد الاعتداء على الرسول ﷺ حين علم باجتماعه مع بعض المسلمين في بيت عند الصفا ، وفيهم حمزة عمه ، وأبو بكر ، وعلي بن أبي طالب ، لكن نعيم بن عبد الله حينما وجد عمر متوشحا سيفه سأله عن قصده فقال : هو قتل الرسول ؛ فقال له نعيم : عليك بأهلك أولا ، فأختك وزوجها قد أسلما ، فانطلق عمر إليهما ، وطرق الباب ، وكان عندهما خباب ، فاختبأ في مخدع لهم ، ثم دخل عمر وبطش بأخته وزوجها ، ثم حاول أخذ الصحيفة التي كان يقرئها لهما خباب فلم تعطها له أخته حتى أعطى عهدا بقراءتها – بعد أن يغتسل – فاغتسل وقرأ الصحيفة فإذا بها : « **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** »[1]. إلخ فلما قرأ صدرا منها قال : ما أحسن هذا الكلام ، وأكرمه ، فخرج خباب ، وقال له : يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه (اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين) ، فالله الله يا عمر ، ثم ذهب عمر إلى مكان الرسول ﷺ في البيت الذي عند الصفا ، فضرب الباب ، فلما سمع المجتمعون صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحا السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ – وهو فزع –

---

(1) طه ١ – ٢

فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلنا له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله ﷺ : أئذن له ، فأذن له الرجل فنهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه ، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ، ثم جذبه به جذبة شديدة وقال له :

ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة وكبر أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ .

الرياضة منهج من مناهج الدعوة

لقد كان ﷺ يعامل الناس بتربوية عالية ، وبحسب ما ينفعهم فيما يقصدون ، وما ينجهون ، ويخاطب كلا بطريقة تلائمه ، فمن يجادل جادله بالحسنى ، ومن يجهل رده عن جهله بما يناسبه

وقد يدهش بعضنا إذا علم أن الرسول الهادي للناس يستعمل الرياضة ، والمصارعة الجسمية طريقاً من طرق الدعوة ، وأي خطيب قد يسلك هذا المسلك ؟

إن الداعية إلى الله قد يظن نفسه مقصورا على الحديث عن مبدئه الذي يدعو الناس إليه ، وأن عليه أن يأخذ سمتا معينا يبتعد به عن كل الأعمال الأخرى غير الدعوة والقيام بأعمالها المعروفة ، لكنه لو اقتدى بالرسول الكريم عرف أنه لم يترك سبيلا من سبل الإقناع إلا سلكه ، وقد يعرف أن سبيل إقناع شخص ما يقوم على نوجه معين ، فيسلك هذا الطريق ليصل إليه .

وقد يعرف أن فلاناً ينفع معه ـ في جذبه إلى الدعوة ـ أن يلعب معه لعبة رياضية فلا يتأخر عنها .

هذا ركانة بن عبد يزيد بن هاشم المطلبي من أشداء قريش ، خلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله ﷺ يا ركانة ألا تتقي الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟

فقال ركانة : إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعتك .

فقال له رسول الله ﷺ : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟

قال . نعم ، قال : فقم حتى أصارعك ، فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً .

ثم قال ركانة : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه فقال ركانة : يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني ؟

فقال رسول الله ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري .

وقد أراه النبي ﷺ بعض المعجزات فلما ذهب ركانة إلى قومه بني عبد مناف أخبرهم بالذي رأى والذي صنع

فالدعوة لا تكون بالكلام فحسب ، ولكن بالسلوك أيضاً وتنوعها بتنوع الناس وطبقاتهم وبيئاتهم يجعلها تصل إلى القلوب ، فما يمكن أن يصلح في بيئة قد لا يصلح في أخرى وما يخاطب به شخص قد لا يصلح في خطاب شخص اخر . وما يعامل به إنسان قد لا يحسن مع غيره ، ولذلك فإن ملاحظة الأحوال مطلوبة ، وكان الرسول ﷺ ينزل إلى كل المستويات ويخالطها ويجعل نفسه واحداً منها حتى يكون مألوفاً لهم فيستجيبون له بالمخالطة وحسن المعاشرة .

وما كان من هذا النموذج في الدعوة يفتح المجال أمام الداعية ألا يقتصر على وجوده في مكان معين كالمسجد فحسب ، وألا يخشى من غشيان المجالس المتعددة واللقاءات التي تفتح له معرفة الناس بما يرشدهم إليه في مختلف أعمالهم وحرفهم وأماكن وجودهم وما يأمرهم به دينهم من إتقان العمل وإجادته والحرص على نفعه لهم وللناس .

عقد الندوات بطلب الخصوم والحصافة النبوية

طالما طلب إليه ﷺ زعماء قريش أن يحضر إليهم للنقاش ، والجدل ، والحوار علنا في اجتماعاتهم ، فكان ﷺ يحضر إليهم ، ويستجيب لطلبهم مناقشته في أمر دعوته ، ولم يكن ﷺ قد وضع حجابا على نفسه ، ولأموره . وإنما كان يؤمن باللقاء مع الناس يوضح لهم جوانب دعوته في المؤتمرات والندوات العامة .

وكان يسمع الاعتراضات ، ويجيب عليها ، ثم يطرح مسائل الدعوة ، وخصائصها لتناقشها العقول الجاحد منها ، والمستعد للاهتداء ، حتى تنتشر ، وتنمو ، وتتسع لها الصدور ، والبقاع .

فهو ﷺ قد طرح أمر الدعوة ـــ منذ إلقائها إليه ـــ على أهله ، وعشيرته ، ومن تصل إليه تباعا ، وترك لهم الحرية للنظر والرأى ، ثم التقرير المصيرى لهم فى عبادة الله ، وترك عبادة الأوثان التى جاءوا إليها وراثة عمن ضل من آبائهم .

ذات يوم طلبوه ﷺ عند ظهر الكعبة ، فجاء مسرعا إليهم ليرى ماذا بدا لهم مما عرضه عليهم من أمر دعوته لحصافته العقلية ، وإيمانه بأن الدعوة لابد من التمهيد لها ، وعرضها عرضا حسنا جيدا دون إخفاء

لجوانبها ، أو كتبت لبعض الملحوظات التي قد تبدو علـــى ألسـنة بعــض العاقلين ، أو الحاقدين على السواء ، ولو كانت هذه الملحوظات والمناقشات عبثاً ، أو لغواً من القول .

لقد باغته قومه في هذا الاجتماع بمطالب لا تصـــدر إلا عـــن قـــوم معاندين مكابرين ، قال بعضهم له : سيّر لنا الجبال ، وابسط لنا البــــلاد ، وفجّر لنا الأنهار .

وقال بعضهم ـــ كذلك ـــ اجعل لك جناناً ، وقصوراً وكنــــوزاً مـــن ذهب ، وفضة ، حتى تستغني بها عن المشي في الأسواق ، والتماس كسب المعاش .

وبعضهم طلب الصعود في السماء ، وبعضهم طلب إنزال الملائكـــة لتشهد بنبوته ﷺ .

وكلها أسئلة عنت ، وتهكم ، وتجبُّر .

ولكن الرسول الكريم كان يأخذهم بالرفق في الحـــــوار ، وإن كـــان حوارهم بعيداً عن الهدف المطلوب ، فقال لهم ﷺ ما أنا بفاعل ، وما أنـــا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكـــن الله بعثني بشـــيراً ونذيراً ،وجاء ذلك كله واضحاً في قول الحق تبارك وتعالى :﴿ **وقالوا لـــن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيـــل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينـــا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقـــرؤه قـــل ســـبحان**

ربي هل كنت إلا بشرا رسولا * وما منع الناس أن يؤمنـــوا إذ جـاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا » [1] .

وهذا المشهد الحواري يوضح أن الرسول ﷺ كان يحصن دعوتـــه بالحوار ، وفتح الجدل ، ويترك لمن يشاء أن يتكلم ، ثم لا يقطـــع عليــه كلامه ، ويوضح هدف دعوته ، وما جاء من أجله .

---

(1) الإسراء ، ٩٠ ــ ٩٤ .

حدبه ﷺ
على المدعوين ورعايته لهم

على الداعية أن يكون حريصا على هداية الناس اتي لهم بكل الوسائل التي تجذبهم إليه ، وأن يسدي إليهم التوجيه والنصح ، ويبذل لهم طاقته ، ويحاول جذب من شرد منهم إليه ، ويحنو عليه ويبصره بما ينفعه ، ويبعده عما يضره كما قال الرسول ﷺ . [أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها]

فالرسول ﷺ كان يبصّر الناس بأمور دينهم ، ويوضح لهم أنه حريص على مصالحهم ، وان إنقاذهم من المهالك إنما هو باتجاههم إليه واتصاعهم إلى دعوته ، وأخذهم بما يرشدهم إليه ، فهو بهم رؤوف رحيم كما وصفه ربه عز وجل فقال : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [1] .

وعلى الداعية إلى الله أن يعذر أن المدعوين لا يعرفون مصلحتهم ، وأنه هو رائد يجمعهم حوله ، ويدلهم على طريق الخير طريق الإيمان بالله تعالى ، وكما قال ﷺ " إن الرائد لا يكذب أهله " ، فهو يصدقهم القول

---

(١) التوبة ١٢٨

ويبين لهم أن اتباعه هو الهدى ، والنكث على الأعقاب يؤدي بهم إلى الضلال والهلاك .

وكان ﷺ لا يلتفت إلى إعراضهم عنه ، بل يحاول جاهدا ضمهم إليه وكثيرا ما كان يكلف نفسه الجهد ، والمشقة الكبرى في هدايتهم ونصحهم حين قال له ربه : « **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث** أسفاً »[1]

وحين آذوه ﷺ سعى إلى الطائف وجلس يشكو " **اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدوٍ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك** " .

وقد جاء في الخبر أن جبريل ــ عليه السلام ــ نزل عليه ﷺ وجاءه ملك الجبال قائلاً له : لو شئت أطبق عليهم الأخشبين (جبلان) فقال " لا ، **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون** ، وقال ﷺ . " **لكل نبي دعوة مستجابة وأنخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة** " .

هكذا كان حدبه ﷺ وتمسكه بهداية قومه مما هيأ للمستعصين عليه أن يستجيبوا ويدخلوا في دين الله .

---

(1) الكهف . ٦

طريق الدعوة ليس طريق العنف والقسوة بل طريق الأخذ بالحسنى

إن الرسول ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام لم يكن مكرهاً لهم عليه ، ولا منفراً منه ، بل كان متودداً إليهم ، عارضاً أمره بالحسنى والرفق ، واللين كما قال له ربه « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »[1] .

هذا غلام يسمى (عداسا) غلام نصراني كان لعتبة وشيبة ابني ربيعة – بالطائف – بعثا به إلى الرسول ﷺ يحمل قطفاً من العنب على طبق ليأكل منه ، فلما وضعه عداس بين يدي الرسول ﷺ وضع رسول الله ﷺ فيه يده ، ثم قال : بسم الله ، ثم أكل . فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال رسول الله ﷺ ومن أهل أي البلاد أنت ياعداس وما دينك ؟ قال عداس : أنا نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله ﷺ ، من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذاك أخي كان نبياً ، وأنا نبيّ ، فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ، ويديه ، وقدميه

وهذا الشاعر سويد بن الصامت جاء حاجا أو معتمراً ، وكان قومه يسمونه " الكامل "لجلده ، وشعره ، وشرفه ، ونسبه ، فتصدى لرسول الله

---

(1) النحل ١٢٥

حين سمع به فدعاه الرسول ﷺ إلى الله ، وإلى الإسلام ، فقال له سويد

فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله ﷺ :

وما الذي معك ؟

قال : مجلة لقمان (يعني حكمة لقمان)

فقال له الرسول ﷺ .

اعرضها عليّ ، فقصها عليه سويد .

فقال له الرسول الكريم ﷺ . إن هذا الكلام حسن ، والـذي معـي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى عليّ هو هدى ونور .

فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منـه ، وقال . إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه

وهكذا نرى الكلام الهادئ المتبادل للإقناع بالحجة في غير شـدة أو غلظة ، فيؤثر في المدعوين أثره المحمود ، ويفسح مجالا لمعرفة أسـس الدعوة ، ومبادئها ، وحسن الاطلاع عليها ، ونشر ما تضمنته من هدايـة ورشاد .

فليست الدعوة إذاً بالقهر والجبروت ، وليست بالانفعال والتعصـب ، ولا بتخطئة الآخرين والمصادرة على أقوالهم وأفعالهم ولا بإبراز معايبـهم إنما يكون البيان الموضح والأخذ بـالفكر والتعقـل والفـهم ، والتبصـرة بالحقائق والتعريض بدل التصريح وإعطاء المهلة للمخاطب أن ينظر فيمـا يعرض عليه وأن يأتي إليه طائعاً مختاراً إذا وجد أن الصواب في التوجـه

إليه ، وإلى بيان المحاسن بالحق والصدق لا بالمبالغــــة والتعصــب يفتــح المجال للأخذ بالصحيح من العقائد والأفكار .

وهذا كان المسلك الذى سلكه الرسول ﷺ فى دعوته إلى الناس فحقق الغاية المرجوة ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

عرضه ﷺ نفسه على القبائل فى المواسم

كان الرسول ﷺ يعرض نفسه فى المواسم ــ كمواسم الحج وغيره ــ يدعو القبائل المجتمعة إلى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويطلب منهم الإيمان ، ومعاونته على نشر دعوته ، وبيان ما بعثه الله به .

فكان ﷺ يقف على الأقوام ، ثم يقول :

يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتمنعونى ، وتصدقوا بى حتى أبيّن عن الله ما بعثنى به .

ومن الأقوام الذين عرض نفسه عليهم بنو كلب ، وبنو حنيفة ، وبنو عامر .

وبعض هؤلاء ــ الذين كان يعرض نفسه عليهم ــ كان يصيبهم الكبرُ ، والبغى فيُعرضون .

ولكن ما لبث الأمر حتى استجاب بعض الوافدين للحج من قبائل العرب ، ومن هؤلاء رهط الخزرج الذين اجتمعوا عند العقبة ، وأراد الله بهم خيراً ، فحين دعاهم الرسول ﷺ إلى الله عز وجلّ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن قال بعضهم لبعض : لتعلموا والله إنه النبىّ الذى توعدكم به اليهود ، فلا تسبقنّكم إليه ، فاستجابوا وصدقوا الرسول ﷺ ، وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام ، وتنبأوا بإصلاح ذات

النبي بين قومهم – من الخزرج والأوس – بالدخول في الإسلام ، ووعدوا بأن يدعوا قومهم إليه ورجعوا إلى قومهم وقد آمنوا وصدقوا ، وكان عددهم اثنا عشر رجلاً ، وهذا في بيعة العقبة الأولى .

وقد أرسل الرسول مع القوم مصعب بن عمير بن هاشم ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، وكان يصلي بهم في المدينة .

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج مع الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج من قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ على اللقاء الثاني في العقبة – بعد الفراغ من الحج – فلما فرغوا منه اجتمعوا في الموعد المحدد للقاء الرسول ﷺ ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو .

وكانت البيعة على اتباع دين الله ، ومنع الرسول ﷺ مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، وعلى السمع والطاعة في عسرهم ، ويسرهم ، ومنشطهم ، ومكرههم ، وإيثار الرسول على أنفسهم ، وألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا بالحق أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فضربوا على أيدي الرسول وبايعوه .

وقد قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم كفلاء ، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، ثم قال لهم الرسول : أنتم على قومكم بما

فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي — يعني المسلمين — قالوا : نعم .

وقد أسهم ذلك في إعزاز الإسلام ، ونصر دين الله .

الهجرة وحسن التخطيط لنهضة الأمة

لم تكن الهجرة مجرد خروج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة وانتهى الأمر بل كانت انطلاقاً إلى آفاق أرحب تنتشر فيها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

ولم يكن قيام دولة الإسلام مبنيا على العسف أو القهر أو اعمال السيف وإنما يثير أعداء الإسلام عليه ما ليس منه .

إن قريشاً والمشركين هم الذين آذوا المسلمين واضطهدوهم واعتدوا عليهم وضيقوا عليهم سبل الحياة وآذوا رسول الله ﷺ في شخصه وفي دعوته .

ولما وجد أن البيئة المكية أنذاك غير صالحة للمضي في الدعوة رتب الأمر مع عناصر صالحة من أهل المدينة كانوا يقدمون في مواسم الحج وقد عقد معهم العهد على الإيمان به ونصرته وذلك في بيعتي العقبة الأولى والثانية ، وكان العهد أن قال ﷺ للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي قالوا : نعم ، وحينما قال بعضهم ؟ هل مستنقض العهد بيننا ؟ قال لهم : بل الدم الدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

ولما استوثق الأمر له في المدينة وأصبح له أنصار يأوي إليهم ويستعين بهم كان أمر الهجرة بعلا للدعوة إلى بيئة المسلمة التي استجاب أهلها لها وفتحوا أذرعهم للوافدين عليهم ممن يريد الهجرة .

تآمر المشركون عليه واجتمعوا في دار الندوة وأحسوا بمدى خطورة أن يكون للدعوة الإسلامية أتباع وأصحاب خارج مكة وربما يستفحل أمره فتعم البلاد ويدخل فيها الناس أفواجا ، ومصدر الخوف للمشركين هو الرسول الذي يحمل مشعل الهداية وله تأثيره ودبلوماسيته فراحت قريش والمشركون يتآمرون ويتشاورون في القضاء على محمد وخطته وقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا وكان ما قصه الله تعالى في كتابه بقوله : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » [1]

كانت خطة الرسول ﷺ في إعداده للهجرة أن أمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويتغطى ببرده الحضرمي الأخضر وخرج رسول الله ﷺ من الباب وقد نام المتحلقون حوله من فتيان القبائل المدججين بالسلاح وأخذ حفنة من التراب في يده وجعل ينثرها على

(١) الأنفال ٣٠

رؤوسهم وهو يتلو صدر سورة يس إلى قوله تعالى « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » [1]

ثم كانت الخطة بخروج الرسول وصاحبه أبي بكر إلى غار ثور – في جنوب مكة – حيث لا تتجه الأنظار إليه وكانت المحاورة والمداورة والمناورة وتقسيم الأدوار التي يؤديها الفريق المخطط الواعي من أسماء بنت أبي بكر ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر – رضى الله عنهم – والغار محاط بالسلاح الإلهي والملائكة التي تحميه كما قال الرسول ﷺ لأبي بكر وقد وجد كافرا قادما إلى الغار : (يا أبا بكر إن الملائكة تستره بأجنحتها) .

ولم يكن الأمر بالسهولة كما يتصور المتصورون فقد أعد النبي ﷺ خطة محكمة وبعد خروجه وصاحبه من الغار وقطعهما المسافة إلى المدينة بتوجيه من عبد الله بن أريقط وحدوث المعجزات والبراهين على صدقه وصلا المدينة المنورة وبدأ الرسول الخطة الإلهية التي جاءته من رب العالمين . لقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين – الفقراء – والأنصار – الأغنياء – وحدث أن بني النضير من اليهود قد نقضوا العهد مع الرسول ﷺ بعد غزوة أحد فطردهم من المدينة وغنم غنائم كثيرة وقال للأنصار . إن شئتم بقيت لكم أموالكم وقسمت هذه الغنائم على المهاجرين الفقراء وكان الظن أن الأنصار يوافقون على بقاء أموالهم لهم دون مشاركة

---

(١) يس ٩

المهاجرين فيها ، لكن الأنصار قبلوا عرض النبي ﷺ وقالوا له : نحن مع ذلك نجعل المهاجرين يشاركوننا في أموالنا فكان الواحد منهم يتنازل لأخيه المهاجر عن شطر ماله كما يتنازل له عن الزوجة التي يريدها فيطلقها ويتزوجها المهاجر ـ بعد العدة ـ وهكذا عمت روح الإيثار والتكافل والتضامن بعيد المدى ونزل في ذلك قول الحق سبحانه : **« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »** [١] .

بل أكثر من ذلك جعل الرسول ﷺ المهاجرين والأنصاري يرث كل واحد منهما الآخر وتلك خطة أدت إلى تلاحم العربيين وتكوين مجتمع موحد متكافل متعاون وكان هذا من قبيل الوحي الإلهي الذي تخطط السماء للأرض ، لكي تنشأ أمة قوية كان مجمل أفرادها ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا وامرأة وطفلا ، استطاعت ان تثبت وجودها وتوحد صفوفها وتجعل أموالها شركة بينها في طعامها وشرابها ووسائل حياتها بدعوة إسلامية كريمة إلى التماسك والتعاون كما قال تعالى : « **إن الذين آمنوا**

---

(١) الحشر ٨ ـ ٩

وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » [1] .

فملكوا ناصية الدنيا ، تلك هى الوحدة والامتزاج الكامل والتلاحم بما هو أقوى من أواصر القرابة في النسب فهم متكافلون يرث بعضهم بعضا وجعل الله تعالى ذلك شأنا خاصا بالمهاجرين فقط ، أما من لم يهاجر فلا يرث الأنصارى ولا يرثه الأنصارى ، لكن مع ذلك إذا استنجد به يهب لنصرته ويعاونه ضد من يعتدى عليه : **« والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا »** [2] — أى ليست لهم المسيرة السابقة فى التوارث — **« وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر »** [3] . — يعنى يجب أن تناصروهم على عدوهم إذا استنجدوا بكم — وليعلم الإسلام العالم أنه لا يعتدى على من يسالمه ويعاهده منع الاعتداء على أهل الذمة ، فالإسلام لا يقاتل إلا من يعتدى عليه **« إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير »** [4] ثم طلب من المسلمين عدم التعاون مع الذين يعتدون عليهم من أهل الكفر والضلال فقال لهم **« والذين كفروا بعضهم أولياء بعض »** [5] ، ونبه على أن هذا المبدأ خطير فالتعاون مع

(١) الأنفال : ٧٢ .
(٢) الأنفال ٧٢ .
(٣) الأنفال ٧٢
(٤) الأنفال ٧٢
(٥) الأنفال ٧٣

الأعداء له أصراره الفادحة كما قال تعالى : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنـــة فـــي الأرض وفساد كبير ﴾ [1] .

ورفع القرآن الكريم وساما على صدر المهاجرين والأنصار لأنـــهم رفعوا شعار التعاون والتكافل ومناصرة الحق ونجدة الضعيف ، ومعاونـــة المحتاج لتكوين أمة مسلمة قوية بين دول العالم يمد الغني فيها يـــده إلـــى الفقير ويدافع عن مصالحه ويتبنى مشكلاته ويحلها وهم يد واحدة على مـــن سواهم ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فـــي ســـبيل الله والذيـــن آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ [2]

فإذا أردنا أن نكون مثلهم وأن نحصل على المغفرة والرزق الكريـــم فعلينا أن نتعاون فيما بيننا وأن يكون الأفراد والدول الإسلامية على مستوى المسئولية من الدفاع عن حقوق المظلومين منهم ، والوقوف بجـــانب مـــن يحتاج إلى المساعدة ورد العدوان عنهم ليعود للأمة مجدهـــا كمـــا قـــامت دولة الإسلام الأولى .

وفيما لقيه رسول الله ﷺ والمؤمنون المهاجرون مـــن معانـــاة فـــي الهجرة وما أدت إليه من قيام دولة الإسلام أقول :

ولاقى نبي البر أعجب رحلة ... وأفرغ صبرا في الخطوب جميلا

تقاذفه أيدي الجبال وهامها ... ويحمله قلب الرمال مهـــيلا

على الفتن الرعناء فوق رقابها ... يظللها برد الغمام خـــضيلا

---

(١) الأنفال : ٧٣

(٢) الأنفال : ٧٤ .

ويهبط وديانا يخوض غمارها ... ويسلك في غور الوهاد جفولا
ويسكن أحيانا مع الليث زائرا ... ويؤنس في داجي الفلاة وعولا

***

وسار رسول الله قاصد طيبة ... وتحدوا أنفاس الرجاء دليلا
تغنيه آمال الشعوب مشيدا ... مغاني عهد كالربيع خميلا
ودولة عز يستطيل بناؤها ... ويبلغ رحب الخافقين شمولا
وينشر فيها من مبادئ عدله ... حياة بلا ظلم تدوم طويلا
يعيش بها حق يسود نهاره ... ويزهق ليل بالسماح أبيلا

***

معالم بارزة فى الهجرة النبوية

من الاحداث التى ستبقى معالمها بارزة فى حياة الامـــة الإســلامية مؤكدة عمر ان للمومنين حدث الهجرة ، وتبقى المحللون للسيرة النبويـــة يستخلصون منها اسس النهضة الاجتماعية ، حســن التخطيــط للمســتقبل المزدهر سياسيا واقتصاديا ، وابراز القدوة الحسنة والمثـــل فـــى حكمـــة الرسول ﷺ وصحابته الاجلاء والمسلمين الأوائل فى نشر حضارة الإســلام بالحسنى لا بالسيف والقهر والعدوان .

ونستطيع أن نذكر المعالم البارزة التى تعد سراجا منيرا يهتدى بـــه الأمة فى نهضتها وتقدمها فى ما يلى :

١ المعلم الأول : صدق العزيمة والصبر على المكاره

إن الرسول ﷺ تحمل من المشقات والصعاب فـــى نشـــر الدعـــوة الإسلامية عبئا ثقيلا ، وكان المسلمون الأوائل يعانون معه معاناة شديدة من أذى المشركين ، وكانت مقاطعة المشركين للمؤمنين فلا يبيعون لهم شـــيئا من طعام أو غيره ولا يشاركونهم فى شئون حياتهم وبذلك تسوء أحوالـــهم المعيشية والاقتصادية مما ترك أثرا بالغا فى عناء المســـلمين ومكابدتـــهم الشدائد .

ولما كانت مكة من فيها أغلقوا الأبواب أمام نشر الدعوة الإسلامية ووضعوا العقبات والعراقيل في طريقها مريدين أن يطفئوا نور الله فقد خرج الرسول الكريم باحثا عن مكان جديد فذهب إلى الطائف لنفس بحث التبليغ هناك ، ويعرض عليهم الإسلام فالتقى بالأعيان من قبيلة ثقيف ، لكنهم سخروا منه وجابهوه بالعناد والمكابرة وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى لجأ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ليحتمي به من هذا الإيذاء ، ومع ما صادفه به الحال لم يجزع ولم ييأس بل صبر وتحمل ما لم يتحمله غيره من المتاعب والأرزاء .

٢ - المعلم الثاني : الهجرة معلم بارز للانتصار بالله حين وضح قصور الحماية البشرية وعدم نجاحها :

ففي خضم هذه التجارب المعاندة للدعوة توجه الرسول ﷺ إلى المولى سبحانه وتعالى شاكيا له حاله طالبا نصرته ومعونته ليذلل له الصعاب ، فقال

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أبوء إليك أن ينزل بي سخطك ، أو يحل عليّ غضبك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك

ولما نزل له جبريل أو ملك الجبال وقال له **[إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين]** وهما جبلان بمكة لم يرض ﷺ أن يكون مصير

قومه مصير غيرهم من الأقوام البائدة الذين دعا عليهم سيسالإهم فهلكوا كقوم نوح مثلاً . وقال ﷺ : [لكل نبي دعوة مستجابة وأدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة] .

فالنبي ﷺ - مع صوابه لم ييأس ولم يصل طريق الصواب بحكمته وحسن تعامله مع المشكلات

٣ المعلم الثالث : البحث عن مواطن أخرى تترعرع فيها الدعوة :

جاء الإذن للنبي ﷺ أن يبحث عن هذه المواطن في أمكنة أخرى بعد أن جرب مكة وما حولها ويروي البخاري في صحيحه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال [رأيت في المنام أني أهاجر إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب] ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يريد الهجرة قبل المصطفى ﷺ لكن النبي ﷺ قال له ... كما يحكي رواة الحديث ... على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ويرافقه ثم جاء الإذن بالخروج فاصطحب أبا بكر ﷺ .

٤ المعلم الرابع : نصر الله وقوة الإيمان أقوى من قوة السلاح :

إن الرسول الكريم وصحابته الأجلاء لجأوا إلى ربهم ففتح أمامهم باب النصر الإلهي على مصراعيه .

فكيف خرج الرسول ﷺ من بيته صباح الهجرة وبابه مغلق وحولـــه المجتمعون من كفار مكة من كل قبيلة شاب ليضربوه ضربة رجل واحــد فيفرق دمه في القبائل ؟

لم يخرج من السقف ولم يعبر من فوق السور أو الجدار فقد خــرج من الباب بإذن الله تعالى .

خرج من بين ظهر المجتمعين حول البيت دون أن يصاب بســوء أو أذى ، وحثى التراب فى وجوههم وعلى رؤوسهم وخرج وهم لا يحســـون به ، وقرأ صدر سورة " يس " إلى قولـــه تعـــالى - ﴿ فأغشـيناهم فــهم لا يبصرون ﴾ [1]

وكذلك نجى الله تعالى المتقين يجعل لهم من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا كما قال سبحانه ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ [2] . وكما قال عز حكمه ﴿ وإذ يمكر بك الذيـــن كفـــروا ليثبتـــوك أو يقتلـــوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [3]

دخل ﷺ الغار مع رفيقه الصديق ، وكان الكفار يغدون ويروحـــون فوق الغار وحوله بحثا عنهما ، وباب الغار مفتوح ليس عليـــه إلا خيــوط ضعيفة من خيوط العنكبوت لا تخفى ما وراءها ، وقد باضت حمامتان فــى عش عليه ، وفى صحيح البخارى قال أبو بكر [كنت مع النبي ﷺ فــى

(١) يس ٩
(٢) الطلاق ٢
(٣) الأنفال ٣

الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم . فقلت : يا نبي الله لو أن بعضهم طاطا بصره لرآنا ، قال : يا أبا بكر . ما ظنك باثنين الله ثالثهما] .

فانتصر محمد ﷺ ، نصره ربه وأعطاه من العزة ما لا يتحقق بقـــوة السلاح والعتاد والجيوش ، كان محمد ﷺ والصديق وحدهما لكن العنايـــة الإلهية حصنته بقوة الله وأقوى من القوة الماديـــة مـــهما يتكـــاثر عددهـ أو طبيعتها ، إن قوة الإيمان كانت حصنا حصينا حولت نسيج العنكبـــوت الواهن الى ما هو أقوى من الحصون التي تصنعها الجيـــوش المقاتلـــة ، وكانت اقوى من الدبابات والطائرات مع أن خيوط العنكبوت لا تحمي شيئا ولا تمنعه ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [1] .

وفي ذلك قلت في بردتي اللامية :

في غار ثور أبو بكر بدا قـــلقا

لموقف غزرت فيه المواجيل

والكفر في عصفه مهما يزد سفها

فإن تياره واه ومـــــخذول

وينزل الله مما عنده مـــــددا

ويملأ الرحب فرسان وتصهيل

وحول جدرانه في كل ناحيـــــة

جند غلاظ لهم فتك وتهـــــليل

---

(1) العنكبوت ٤١

والعنكبوت به تبنى بلا وهــــن

بيوتها لا كما تبنى الغـــــــرابيل

حمامتان بحصن البيض قد غقتا

على هشيم ولكن عشه غــــــسيل

فطاف أرســـــــالهم بالغار فى عجل

ولم يعوجـــوا وأمضى القوم ترسيل

وقد ظهر صدق الرسالة المحمدية ، والحماية الإلهية حينمـــا حـــاول سراقة بن مالك بن جعشم أن يلحق بالرسول ﷺ وصاحبه ليحصل على مكافأة قريش لمن يأتي بهم حيين أو ميتين ، لكن سراقة فشل في الحصول عليهما أو إيذاء الرسول ﷺ وصاحبه ، ولقد تحدث سراقة نفسه عن ذلك ـ كما يروى البخاري فقد حاول أن يحصل على هذه المكافـــأة وحـــده إذ جاءه رجل وأخبره أنه رأى أسودة تبدو من بعيد ويظن أنهم محمد وصاحبه والرجل الذي يعرفهما الطريق عبد الله بن أريقط فقال سراقة للرجل : لا ، إن هذه الأسودة رجلان يبحثان عن ضالة لهما ثم تخفى ، وأمـــر امرأتـــه بتجهيز فرسه وأخفى بريق سيفه حتى لا يراه أحد وركب فرسه وأسرع بها فلما دنا من الرسول وصاحبه عثرت به فرسه فسقط عنه فضرب الســـهام التي كانت معه ليقترع بها ليعرف هل يستمر أو يرجع فخرج الذي يكـــرهه ويأمره بعدم الاستمرار في غيه ، لكن سراقة استمر في ملاحقه الرســـول الكريم وعصى الأزلام حتى سمع قراءة النبي ﷺ ورأى النبـــى لا يلتفـــت

وأبو بكر يلتفت كثيراً فصاحت يدا فرسه فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ـ وفى رواية البزار فارتطمت به فرسه إلى بطنها ثم زجرها فنهضت و إذا لأثر رجليها غبار أو دخان ساطع وهنا أحس سراقة بـالخطر على نفسه ويقول : إنه وقع فى نفسه حين لقى ما لقى أن سـيظهر أمـر رسول الله ﷺ ، ثم أسلم وكتب له الرسول كتاب أمان .

وفى ذلك قلت فى بردتى اللامية :

سراقة اشتد جواباً به فـــرس

يسابق الريح فى ـ الأجواء ـ مرحول

وأسرع الخطو لما طار طائـــره

وأدرك الـــركب لكن حاله حول

غاص الجواد به والجبهة ارتطمت

لما دنا وسبيل المكـــر مخذول

وثار منه غبار ساطع وعلا

مثل السحاب له فى الأفق تخييل

فصاح يبغى أماناً فاستجيب له

وجاء خاتم رســـل الله تكـليل

٥ ـ المعلم الخامس : التعاون والقضاء على شـــح النفـــوس اقتداء بالأنصار :

هذا الفريق الذى ناصر الرسول الكريم بإسلامه ومـــد يـد العـون للمسلمين ولرسول الله ﷺ ، فقد التقى رسول الله ﷺ بفريقين من الأنصـار

فى مواسم الحج السابقة على الهجرة فى بيعتى العقبة الأولى والثانية ، وقد أسلم المبايعون وعملوا على نشر الإسلام بالمدينة بين أقوامهم ولما حدثت الهجرة كان الأنصار خير عون للمهاجرين وامتدحهم المولى سبحانه بقوله : **﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾** (١)

وقال رسول الله ﷺ **فيما** يرويه البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن زيد بن عاصم : **[لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا أو شعبا وسلك الأنصار شعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار]** .

فالنبى ﷺ يتمنى أن يعلن انتماءه وانتسابه للأنصار فلولا الهجرة لانتسب للأنصار إكرامًا وحب لهم وأن الناس يسلكون مسالك متعددة وهو إذا أراد الطريق الذى يسلكه الأنصار دون غيرهم والأنصار بمنزلة الشعار له ــ وهو الثوب الذى يلى الجسد ــ والناس دثار ــ وهو الثوب الخارجى للإنسان ــ فالأنصار أقرب الناس الى الرسول ﷺ ، وأحبهم إليه وأحظاهم عنده بالثناء والتقدير

وهذا المدح للأنصار يبين رفعة شأنهم وعظم منزلتهم عند الله تعالى وقد امتدح المولى سبحانه المهاجرين أيضا حيث قال تعالى : **﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً**

---

(١) الحشر ٩

من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هـــم الصـــادقون ﴾ [1] ، ومدحهما معاً حين قال سبحانه : **﴿ إن الذين امنوا وهـــاجروا وجـــاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصـــروا أولئـــك بعضـــهم أولياء بعض ﴾** [2] ، ثم قال سبحانه بعد ذلك : **﴿ والذين آمنوا وهـــاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لـــهم مغفرة ورزق كريم ﴾** [3] .

ومن سار على دربهم لهم مثل جزائهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ والذيـــن آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شي عليم ﴾ [4]

علينا أن نقتدي بهم في العزيمة والصبر على الشدائد وعدم اليأس من روح الله وأن يرحم القوي فينا الضعيف وأن يمد إليه يد العون والمســـرة وأن يعتصم بالإيمان الصادق ليحاف منا عدونا ولا يملك علينـــا الحـــوف أقطار أنفسنا وأن نتشبه بهؤلاء الرجال الذين نصروا الله فنصرهم .

فتشبهوا بهم إن لم تكـــونوا مثلـــهم

إن التشبـــه بالرجال فلاح

* * *

---

(١) الحشر : ٨
(٢) الأنفال ٧٢
(٣) الأنفال : ٧٤ .
(٤) الأنفال : ٧٥

الهجرة والتضحية

كان المهاجرون من المسلمين الأوائل بتضحيتهم بالأموال والأنفس يرجون رحمة الله تعالى قال سبحانه: ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾ (١)

حكى المولى سبحانه عنهم عملهم المخلص ، وبين هدفهم النبيل الذي قصدوه فأعطاهم الله تعالى الرحمة ولا يستحق الرحمة إلا من عمل لها وكانت لهم منزلتهم الرفيعة وعلو الشأن والسيادة والقيادة في الدنيا فملكوا ناصيتها بنصر الله ورضوانه ، وحازوا الشرف الأخروي على كل البشر قال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** ﴾ (٢)

إن المسلمين الآن أكثر من مليار مسلم يحتاجون إلى الدفاع عن أنفسهم وديارهم وأن يردوا العدوان عليهم إذا آزر بعضهم بعضا وتضافرت جهودهم وبذلوا النفس والنفيس للذود عن حياضهم أما التفرق والتشرذم فهو عامل ضعف وخذلان ، يبعدهم عن رضا الله وعن رحمته .

كيف يستحق الرحمة المتقاطعون المتدابرون المتخاذلون ؟ .

---

(١) البقرة ٢١٨

(٢) التوبة ٢٠

حقوق المسلمين تسلب ومقدراتهم تضيع ولا تجد صدى لوحدة أو عمل جماعي يعيد إليهم صورة المهاجرين الأولين الذين استهانوا بالصعاب فهانت أمامهم أعتى المعضلات .

لماذا لا ينتزع الخوف من قلوبهم ؟ لماذا تجد الخوف يسكن في نفوسهم :

الخوف على النفس ، الخوف على المال ، الخوف على السرير ، الخوف على الدور ، الخوف على الأولاد ، نحن نحتاج إلى صلابة الإرادة وكثرة التضحية حتى لا يذل المسلم أو يهان

لم الخوف والله تعالى قد تكفل لمن اعد وخطط وقدم النفس والمال أن ينصره الله فلا يخذله وأن يفتح عليه أبواب الرزق الواسعة فلا يغلق شيء في وجهه كما قال تعالى . **﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ﴾** [١]

تكفل الله تعالى بفتح أبواب الرزق لهؤلاء المهاجرين الذين أخلصوا لله ولم يبخلوا بشيء في سبيل كرامتهم وعزتهم ، الرزق الحسن الكثير لا خوف على مال أو عيال فمن طلب الموت توهب له الحياة ، ومن ظلم ثم كافح نال حقه ونهضت أمته بالاستقرار والرخاء ونعم بالسعادة والعزة قال تعالى : **﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾** [٢] .

---

(١) الحج ٥٨

(٢) النحل ٤١

إن الله سبحانه وتعالى تعهد للمسلمين الأوائل المهاجرين المضحين بالنفس والمال بإدخالهم المدخل الذي يرضونه ، فحقق لهم ما أرادوا واستجاب لما طلبوا وفتح لهم ما أغلق على غيرهم كما قال تعالى ﴿ ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴾ [١] .

إن المسلمين يدخلون اليوم مدخلا لا يرضونه من الظلم والعسف وسلب الحقوق والأوطان فلماذا لا يدخلهم الله المدخل الذي يرضونه من رد العدوان وإجابة ما طلبوا ؟ انهم لم يأخذوا بما أخذ به السلف من التضحية بكل شئ في التعاون والكفاح ومساعدة المحتاجين

وعد الله سبحانه من بذلوا ومن تحملوا الأذى واعدوا لرد العدوان ببسالة وشجاعة أن يعطيهم خير الدنيا ويذهب عنهم متاعبهم والامهم ويعيد إليهم حقهم المسلوب ونعم الحياة إلى جانب ما أعد لهم من الثواب والرضوان في الجنة كما قال تعالى ﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ [٢] .

---

(١) الحج ٥٩

(٢) آل عمران ١٩٥

التماسك والمؤازرة أساس قوة الدعوة الإسلامية

حينما قدم النبي ﷺ المدينة عمل على تقوية الأواصر والصلات بين الناس، والقضاء على البغضاء والشحناء وما كان من حروب ومنازعات بين الأوس والخزرج وغيرهم من القبائل.

وعمل على أن يكون المسلمون من المهاجرين والأنصار يدا واحدة لا تفرقة بينهم، ولكل منهم حقوقه وواجباته استمساكا بقوله تعالى **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة النار فأنقذكم منها ﴾** [1].

لقد أسلم الأنصار بحيث لم تبق دار من دورهم إلا أسلم أهلها ما عدا بعض الأحياء التي بقيت على الشرك، ولم يكرههم الرسول ﷺ على الدخول في الإسلام.

وقد كتب الرسول ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم ومن هذا الكتاب: " **بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين**

---

(١) آل عمران ١٠٣

المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس

وبين أن المهاجرين والأنصار يتحملون الديات فيما بينهم ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى جريرة ظلم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ، وأن من تبعهم من اليهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، إنه لا تجار قريش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وأن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لقد كان رسول الله ﷺ دائب الدعوة إلى وحدة الكلمة ، وتقوية الصف ، عاملاً على نبذ الفرقة وأسباب الشقاق ؛ لما يعلم من خطورة عواقبها في القضاء على الدعوة أو إعاقة مسيرتها .

لقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار حين نزلوا المدينة. وتلك الأخوة عامل وطيد لقيام الدعوة على تعاون الجميع وتعاطفهم وتوادهم .

فجمع الرسول ﷺ بين أخ مهاجر وأخ أنصاري ، حتى كان المال بينهما مشترك والدار مشتركة ، والمصالح واحدة يهتم كل إنسان بشأن أخيه .

فكان أبو بكر الصديق وخارجة بن زهير (من الخزرج) أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك (من الخزرج) أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع (من الخزرج) أخوين وهكذا

ومن هذا لم يكن المهاجرون يعتمدون على هذه الأخوة في القعود عن طلب الرزق أو ترك عفة النفس وعزتها ، بل اتخذوها باباً إلى العمل وفتح أبواب الرزق .

وقد أخرج البخاري في مناقب الأنصار، باب " إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار" بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: " لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: " إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجاتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة؟ فدله على السوق، فأتى إليه عبد الرحمن فباع واشترى وربح، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ: تزوجت؟ قال: نعم، قال: ومن؟ قال: امرأة من الأنصار، قال: كم سقت؟ قال: زنة نواة من ذهب ـ أو نواة من ذهب ـ فقال له النبي ﷺ: أولم ولو بشاة ".

وقد آل أمر عبد الرحمن بن عوف إلى أن أصبح غنيا يملك ـ في بعض الوقت ـ ثمانية آلاف دينار تصدق بشطرها، وقيل أنه تصدق بعد ذلك بأربعين ألف دينار وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة [1].

وقد عادت المؤاخاة بالخير الوفير على وحدة الصف الإسلامي وتحقق للمهاجرين الأنس والراحة النفسية بعد مفارقة الأهل والأحبة في مكة وكانت عاملا في نصرة بعضهم لبعض، وتعاونهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

---

(١) أخرج ذلك الطبراني وغيره

ولما انتشر الإسلام وقوي أمره ، وزالت آثار الغربة وأسباب الهجرة ، وعزت الأمة وازدادت تماسكا وشكيمة ، وزال سبب الفاقة وقلة المال ، نزلت الآيات القرآنية تبين أمر الميراث ، وأنه لذوي القرابة والرحم كما قال تعالى **﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾** [1] ، مع بقاء الأخوة الإسلامية العامة في المودة والرحمة والعطف ، قال تعالى : **﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾** [2]

وقد امتدح الله تعالى الأنصار فيما فعلوه مع إخوانهم المهاجرين في قوله تعالى **﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾** [3] .

* * *

---

(١) الأنفال : ٧٥

(٢) الحجرات : ١٠

(٣) الحشر : ٩.

منهج الرسول ﷺ أن يكون القتال دفاعا لا هجوما

جاء الرسول ﷺ برسالته لهداية الناس ، وإنقاذهم من الضلال ، والإسلام دين إقناع وحجة ، وليس دين عنف وقتل .

وقد شاع بين المستشرقين ، والحاقدين على الإسلام أن الإسلام إنما انتشر بحد السيف ، أن الرسول الكريم كان يحمل السيف في وجه المعارضين ، وجاء المستشرقون ـ وأتباعهم ـ في ذلك بالحديث المشهور [**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**]

والواقع أنه لم يكن من منهج الرسول ﷺ في نشر دعوته الاحتكام إلى السيف إلا في وجه المعتدين عليه ، المعادين للدعوة ، الواقفين في سبيلها ، قاصدين القضاء عليها ، وهذا الحديث المشار إليه إنما كان المقصود به العرب من مشركي مكة ، وأشباههم ممن آذوه أشد الإيذاء ، ووقفوا له بكل سبيل يصدون عن سبيل الله

ويؤكد أن الإسلام لا يستخدم القتال إلا عند الضرورة الملحة ، ومن الآيات القرآنية التي حددت طبيعة الجهاد في الإسلام ، وأنه لا يكون إلا دفاعا لرد من يحاول النيل من الرسول ، والدعوة ، والمؤمنين .

يقول تعالى : **﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث**

أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴾ (١)

ثم يقول سبحانه ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ (٢)

فإباحة القتال إنما جاءت في إطار الدفاع المشروع عن النفس ، والمال ، والأهل ، والدعوة إلى الله ، فالرسول ﷺ لم يبدأ أحداً بالقتال ، وإنما كان يعتدى عليه ، فيرد العدوان ، والغزوات وأسبابها تشهد بذلك .

فغزوة بدر كانت بعد أن أجمع المشركون أمرهم على القضاء على الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ، وإن كانت قد بدأت بإرادة المسلمين اعتراض قافلة تجارية للمشركين ، فإن ذلك كان طلباً لاسترداد بعض أموال المسلمين التي استولى عليها المشركون في مكة ، وطردهم من ديارهم .

وغزوة أحد كانت كذلك للدفاع بعد أن هاجم الكفار المسلمين في عقر دارهم بالمدينة .

وكذلك غزوة الأحزاب كانت بهجوم عدد ضخم من المشركين وأعوانهم على المسلمين في المدينة فحفر المسلمون خندقاً لحماية أنفسهم وممتلكاتهم وهكذا .

---

(١) البقرة ١٩٠ ــ ١٩١

(٢) البقرة ١٩٤

وفتح خيبر كان لنقض اليهود للعهود، وتأليب القبائل على الدعوة الإسلامية .

ولذلك فإلصاق التهمة بالإسلام بأنه يهاجم الآخرين ويشهر السيف في وجوههم منطق غير مقبول، وحديث [**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**] إنما يعني به قتال من قاتلوه، واعتدوا عليه من المشركين الذين لم يتركوا لونا من ألوان الإيذاء ولا أسلوب من أساليب العدوان إلا لجأوا إليه، فكان لابد أن يرد على المهاجمين بما يوقفهم عند حد عدم الاعتداء فالذي يترك للآخرين أن يستولوا على حقوقه دون أن يمنعهم هو إنسان مفرط في حق نفسه وحق أهله وحق أمته على السواء .

الإذن بالقتال

أمر الرسول ﷺ بأن يتخذ أسلوب الحجة ، البرهان ، واللين والسماحة ، والصبر في دعوة الناس .

ولما بدأ دعوته العلنية ، وراح يعظ الناس ، ويأخذ بأيديهم من الضلالة إلى الهدى ، وقف المعاندون في سبيل الدعوة ، وقاوموها مقاومة شديدة للقضاء عليها محاولين وأدها ، وتعذيب أهلها عذابا شديدا .

وكان الرسول ﷺ مع ذلك يؤثر الدعاء لقومه بالهداية قائلا . [اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون] .

وكان يصبر ، ويطلب من المسلمين الصبر على الايذاء حتى بلغ بهم الجهد ، والعنت أقصاه .

وقد أدى ذلك العذاب إلى هجرة بعض المسلمين إلى أماكن اخرى غير مكة كالحبشة ، والمدينة ، ونهبت دورهم ، وأموالهم ، وشردت أسرهم تشريدا مريعا

واشتد أولو البطش من قريش على المسلمين ، وقطعوا على الدعوة الإسلامية كل سبيل محاولين قهر أهلها ، ومنعها من الانتشار ، أو الاستمرار ، وأضحى الداخلون في الإسلام ما بين مفتون في دينه ، وبين معذب في أيدي الكفار الجبابرة ، وبين هارب في البلاد فرارا من الشرك وأهله .

وبدأ أن الكفار لا يصاعون لأوامر الله مع تكذيبهم رسوله ﷺ ، ومع إرادتهم العصيان عليه ، والتخلص منه ، ومتابعتهم له في كل مكان يحل فيه .

ولما كانت حال المسلمين قد أصبحت في خطر يتهددهم على هذا النحو الخطير جاء الأمر الإلهي لرسول الله بإباحة القتال له ولأمته دفاعاً عن أمن الدعوة الإسلامية ، وحماية لها ، وتخلصاً من الظلم الذي حل بالإسلام وأهله ، فنزلت الآيات القرآنية التي أوضحت إباحة القتال دفاعاً عن الدعوة ، وعن النفس ، والأهل ، والعرض ، والمال المسلوب ، قال تعالى ﴿ **أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [1] .

فأحل المولى عز وجل لرسوله القتال لدفع الظلم الذي حل بالمسلمين ، ولم يكن لهم ذنب إلا أنهم يعبدون الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

---

(1) الحج : ٣٩ – ٤١

ونزل قول الحق تبارك وتعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [1]

أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وحتى لا يعبد مع الله غيره .

وهكذا كان القتال للدفاع منهجا للدعوة عند تفاقم الأضرار التى كانت تحيق بالدعوة ، وأهلها

وهكذا إذا نظرنا إلى الغزوات التى تمت للدفاع عن الدعوة والمسلمين – فهذا رسول الله ﷺ يوم بدر ينادى أهل القليب – وهم قتلى المشركين الذين قبروا فى بئر بدر – يقول لهم : [يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، ثم ناداهم : ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام – فعدد من كان منهم فى القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟] فقال المسلمون : يا رسول الله أتنادى قوما قد جيفوا ؟ قال : [ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا] .

---

(١) البقرة : ١٩٣

انتصار بدر والدفاع المشروع

لم يكن الإسلام يوما ما مهاجما أو معتديا ، بـل لاقـى المسلمون صنوف الإيذاء ، والابتلاء ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ . [لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، وأخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علـى ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا مـا يـوارى إبط بلال]

وكانت قريش تؤذى المسلمين من أتباع رسول الله ﷺ حتى يفتنوهـم عن دينهم ، وكل قبيلة كانت تؤذى المسـلمين منـها بـالضرب والجـوع والعطش ، ويضعونهم على الرمل الساخن إذا اشتد الحر وكان النبـى ﷺ يحضهم على الصبر ، وكانوا يسألونه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ونصحهم إلا يصرفهم الأذى عن عقيدتهم وإيمانهم وبشرهم أن الله تعالى سينصر دينه وينشره فى الأقاليم والآفـاق ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون على الرغـم من المعانـاة التى يقاسونها ، قال تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الـذى بعث الله رسولا ﴾ (١) .

ولما عظم البلاء بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فقال لهم : [لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحـد

---

(١) الفرقان ٤١

وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه] ، فهاجروا وبحث رسول الله ﷺ عن بيئة جديدة للأمن فذهب إلى أرض الطائف ولم يجد عونا من أهلها ، بل وجد صدا وعنادا ، وشكا إلى الله تعالى في دعائه المشهور هناك ثم وجد استجابة من أهل المدينة في مناصرته ومعاونته فعقد معهم بيعتي العقبة الأولى والثانية ، وفتح له باب الهجرة إلى المدينة فهاجر إليها وهاجر إليها من هاجر من المسلمين في مكة ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى الحبشة منهم ، وقد نهب المشركون دورهم واستولوا على ممتلكاتهم ولم يكتفوا بذلك بل أعدوا الجيوش لمهاجمة الرسول وأصحابه في المدينة ، فهل يقف مكتوف اليدين أو يدافع عن نفسه وأصحابه ؟ لقد نزلت الآيات الكريمة بالإذن بالدفاع : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** »[1] .

وأراد المسلمون أن يستردوا بعض أموالهم التي سلبها المشركون حين سمع رسول الله ﷺ بعير قريش قادمة من الشام في طريقها إلى مكة فقال : [**هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله تعالى ينفلكموها**] .

(١) الحج ٣٩ ـ ٤٠

وعلم المشركون بما سيحدث لأموالهم فخرجوا وكانت القافلة قد أفلت بها أبو سفيان ممن كان يقتضي رجوعهم لكنهم بغطرستهم وكبريائهم وجدوا الفرصة سانحة للهجوم على المسلمين في المدينة بغية القضاء عليهم واستئصالهم واضطر المسلمون أن يدافعوا عن أنفسهم وبيوتهم وأوطانهم . وفي الحوار الذي دار قبل المعركة يقول المقداد بن عمرو " يا رسول الله امض لما أمرك الله ولن نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكنا نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون " .

وقام سعد بن معاذ معبرا عن موقف الأنصار فقال فيما قال : " والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وإنا والله لا نكره أن نلقى بنا عدونا ، فنحن صُدُق في الحرب صُبّر في اللقاء ، ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله ونحن معك " .

وقد أمدّ الله تعالى المسلمين بالمدد من الملائكة المسومين ، قال تعالى : ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾ (١)

---

(١) آل عمران ١٢٣ ـ ١٢٥

وكان إبليس قد أغرى المشركين بالقتال وهم في جيش قوامه قرابة ألف مقاتل فلن يهزموا في زعمهم المغرور، قال تعالى:

﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (١)

ونزلت الهزيمة الساحقة بالمشركين المهاجمين، ورجع جيش المسلمين وقد حاز النصر المبين، ولم يكن إلا دفاعا عن الحق والوطن.

ولا شك أن الدفاع عن العقيدة والنفس والمال أمر مشروع لا مجال لإنكاره وتجب دراسة الأسباب وما يترتب عليها قبل الحكم على التصدي للعدوان، فالتصدي للعدوان مما تقره الشرائع والأديان كلها ويقره القانون الدولي باعتباره من حقوق الإنسان، ولذا يجب مساندة كل ذي حق مطلوب وهو يدافع عنه ويعمل على استرداده ويجب أن تؤيد المؤسسات العالمية حق الشعب الفلسطيني في استرداد أرضه وحماية أمنه وماله ويجب مساندته والوقوف في وجه العدوان الصهيوني الوحشي المستمر وحماية الشعب الأعزل مما ينزله به العدو من الفتك والتدمير المتعمد والتشريد وسفك الدماء الطاهرة للأبرياء.

(١) الأنفال ٤٨.

أسلوب المعاهدات والصلح

لقد كان من منهجه ﷺ أن تنمو الدعوة ويستمر انتشارها وكان حريصاً بما ينفع الناس ، وعالم بأن ما لم يأت اليوم يأتي غداً ، فما الداعي إلى التهور ، أو الشدة في ممارسة الدعوة ؟ إن ذلك يؤدي إلى الإضرار بالدعوة وسالكيها ، وليس حماية لها ، فالحماية الحقيقية هي في تهيئة الجو الصالح وانتهاز الفرص للنصر

وقد حدث أن قدم النبي ﷺ سنة ست من الهجرة في ذي القعدة معتمراً .

خرج النبي ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلموا أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظماً له ، وكانوا سبعمائة رجل

وأظهر الرسول لمشركي العرب أن الدخول في الإسلام هو الخير ، والبعد عن الحرب والعدوان مطلب أمن لهم ولغيرهم

قال ﷺ لما وجد من قريش استعدادها لصده عن سبيل الله : **[يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى**

عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، فو الله لا ازال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة] [صححه العنق]

ثم بركت ناقته في موضع – هناك بالحديبية – فقال ﷺ **[ما خلأت ، ولا هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها]**

ولكن قريشا كانت اشد شراسة وغلظة ان قالوا لرسولهم الذين اخبروهم بان محمدا لم يأت لقتال ، وانما جاء زائرا ، قالوا لهم فو الله لا يدخلها علينا عنوة ، وإلا تحدث بذلك عنا العرب

ثم بعد ان ارسل الرسول ﷺ خراش بن أمية الخزاعي ، وبعده عثمان ابن عفان أرسلت قريش سهيل بن عمرو الى رسول الله ﷺ للصلح ، ثم جرى الصلح بينهما

وقد وثب عمر بن الخطاب فاتى ابا بكر فقال يا ابا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى ، قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال . بلى ، قال . أو ليسوا بالمشركين ؟ قال . بلى ، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ وكرر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : **[أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني]** .

ثم أصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض

فالمعاهدة كانت فى صالح الدعوة الإسلامية ، وقد سماها القرآن فتحا فقال : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ [1]

فلما كان الصلح وتوقفت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقى بعضهم ببعض كان ذلك تمهيدا دخل به فى الإسلام خلق كثير خلال مدة الصلح بل يقدره المؤرخون بأنه كان أكثر ممن دخل فى الإسلام قبل ذلك وأكثر منه .

(١) الفتح ٢٧

استعمال الحكمة فى التعامل لإنجاح الدعوة

إن الداعية لابد أن يستلهم الحكمة ، وأن يكون ذا فكر وخبرة لقبول دعوته ، وهى تحتاج إلى من يخطط لها ، فالدعوة ليست بالكلمة وحدها ، وإنما هى بالعمل وحسن التصرف ، وإحكام الأمور التى تفيد

والدعوة تحتاج إلى العناية بها ، والدفع عنها ، وفتح الأبواب لها .

ومنهج التصرف الإسلامى يقتضى البحث عن المداخل والمخارج ، والوعى الدائب العميق بالإيجابيات والسلبيات التى تدعو إلى الحفاظ على استمرارها . والدعوة الناشئة تحتاج إلى منهج بعيد الغور ، لا يشد الظاهر من الأمور ، وإنما يشد الأغوار البعيدة لتقويتها ، مهما تحط بها الأخطار وتذلهم الخطوب .

فصلح الحديبية ـــ الذى عقد بين الرسول ﷺ والمسلمين معه ، وبين المشركين ـــ اشتمل على بعض الشروط القسية ظاهراً .

لقد أظهر الرسول ﷺ السماحة الكاملة فى كتابة شروط الصلح ولم يهتم بالشكليات بقدر ما كان يهتم بالجوهر ، وما يعود به على أمر الدعوة ، وانتشارها ، من حيث لا يعلم من حوله بذلك .

دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ـــ رضوان الله عليه ـــ ليكتب شروط الصلح ، فقال : [أكتب بسم الله الرحمن الرحيم] ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ ، [اكتب باسمك اللهم] ، فكتبها ، ثم قال : [اكتب . هذا ما صالح عليه

محمد رسول الله سهيل بن عمرو] ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله ﷺ : [أكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو] .

واصطلحا على إيقاف الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وكان لذلك أثره في قوة الدعوة مستقبلاً ، والتمكين لها بكثرة المتحالفين مع الرسول ﷺ ، وقد ظهر أن بعض الشروط برد من قدم مسلماً بغير إذن وليه كان في صالح الدعوة ، فقد أفاد الدعوة المستضعفون الذين كان يردهم الرسول ﷺ على قريش ، كعتبة بن أسيد المكنى أبا بصير الذي قدم المدينة هارباً من قريش فأرسلت في إثره رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم ، ورده الرسول معهما لأن الرسول لا يغدر ، ومع ذلك قتل أبو بصير الرجل من بني عامر بسيفه ، ثم كون هو وبعض المستضعفين الذين كانوا حبسوا في مكة فهربوا ، وكونوا فريقاً وصل إلى سبعين رجلا ، وضيقوا على قريش حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم وأخذهم فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه في المدينة ، وهكذا تبين أن الشرط كان في صالح المسلمين لا ضدهم .

وهي خطط أنجحت الدعوة المحمدية أيما إنجاح

سياسته ﷺ في الدعوة

كانت حكمة الرسول ﷺ وفكره السياسي بإنجاح الدعوة حافزاً على اتخاذ السبل التي تفيد الدعوة وتفتح المجالات الواسعة لانتشارها وعمومها ، كما تفيد الأمة الإسلامية في أمنها واستقرارها ، وتقدمها وتهيئة الوسائل التي تسعى بها إلى الخير والعزة والكرامة .

وقد كان صلح الحديبية من العوامل التي أدت إلى قوة المسلمين لا إلى إضعافهم على الرغم مما بدا ظاهراً من أن بعض شروط الصلح كانت مجحفة للمسلمين ، وكان داعياً إلى غضبهم

لكن الرسول الكريم أدرك بحنكته السياسية أن هذا كان فائدة للدعوة لا ضرراً عليها

ومن هذه الشروط التي كان يبدو ظاهرها مجحف : أن من قدم إلى محمد مسلماً من أهل مكة ومن يدخل في حوزة قريش من العبيد وغيرهم يجب عليه أن يرده إلى مكة ، ومن يترك محمداً ودينه راجعاً إلى أهل مكة لا يردونه إليه ، والشرط هذا يبدو أنه لا يحقق المثلية بين الطرفين ، بل يميل إلى جانب قريش ، ويحيف على جانب الرسول والمؤمنين ، وغضب له المسلمون ، وكاد ذلك يؤدي إلى وقوع القتال بينهم لولا أن الرسول ﷺ تدارك ذلك بحكمته ، فالشرط – وإن كان ظاهره أنه

ظلم للجانب الإسلامي ، فبه ــ في الحقيقة ــ حقق نتائج طيبــة للدعــوة الإسلامية .

فالذي يرتد عن الإسلام ، ويرجع إلى أهل مكة علم شره ولا حاجــة للمسلمين به ؛ لأن هذا ضرر حمى الله المسلمين من شره .

أما المسلم من أهل مكة الذي يقدم على النبي ﷺ فإن رده إلى أهــل مكة لا يضره ، لتمسكه بدينه ودفاعه عنه ،وقد حدث أن بعض من أســلم من أهل مكة قدموا على النبي ﷺ فبين لــهم انــه لا يغــدر ولا ينقــض المعاهدة المبرمة بينه وبين قريش في هذا الأمر ، وردهم .

ولكن هؤلاء المسلمين الفارين من وجه قريش كونوا حوالي ســبعين رجلاً أو أكثر قطعوا طريق القوافل القرشية ، وهددوها تهديدا شديدا لدرجة أن أهل مكة استغاثوا بالرسول الكريم ﷺ ليقبلهم عنــده ليســتريحوا مــن شرهم .

وهذا كان له أثره في نمو الدعوة وانتشارها

منهجه صلى الله عليه وسلم
منهج تأمين الناس على حقوقهم

إن الرسول ﷺ يثبت بدعوته للناس أنه لا يأخذ شيئاً بغير حقه ، ويضرب المثل في الزهد فيما في أيدي الآخرين ، وإبقاء حقهم لهم لا يعتدي أحد عليه ، فجماعة المسلمين هي جماعة الحق تعتد به لأصحابه .

وكان كل همه ﷺ أن يعرض أصول دعوته على الناس وهي تقوم على عبادة الله الواحد ،وعلى إثبات أن أي مواطن في ظل هذه الدعوة له الحق كاملاً غير منقوص ، وإن دخول الدعوة الإسلامية وانتشارها في بلد يعني عدم المساس بما للآخرين من حقوق .

فهذا علي بن أبي طالب ــ يوم فتح مكة ــ يأخذ مفتاح الكعبة في يده ، والنبي ﷺ في المسجد الحرام ، فيقول له : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة والسقاية صلى الله عليك ، فقال له الرسول ﷺ :[لا . أين عثمان بن طلحة ؟] فدعي له فلما حضر قال له :[هذا مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء] .

إن الغزاة الفاتحين إذا تمكنوا من شيء لأعدائهم سلبوه منهم ، واستأثروا به لأنفسهم طمعا وجشعا وعدوانا ، وكم عرفت البشرية من هجمات شرسة على مجتمعات آمنة روعتها ، وأفزعتها ، وسلبت كل

ما في أيديها من معالم الحضارة ، أو مختصات الشرف ، وقد عانى المجتمع العربي والإسلامي في كثير من أقطاره من ويلات الحروب الاستعمارية التي استولت على مقدراته ومخصصاته وموارد رزقه ، وتركته يئن من آلام الفقر والمسكنة ، ولم تبق له ولم تذر ، وكم عانى غيرها كذلك .

ولكن رسول الله ﷺ يبين أن دعوته لإحقاق الحقوق ، وأنه لا يفعل شيئاً إلا من أجل الدعوة إلى الله لا طمعاً في مال ، ولا في سلطان ، ولا في رياسة وإنما يُعنى بنشر عبادة الله ، والعمل لتوجيه الناس إلى تقواه وخشيته لتستقيم الحياة .

وهكذا يرعى صاحب هذه الدعوة كل شأن ، ويترك لكل صاحب حق أن يبقى حقه في يده وتحت تصرفه ، ولو لم يكن على ملته ، ولو لم يدخل في الإسلام . إن عثمان بن طلحة الذي أبقى الرسول في يده — وفي يد أسرته — مفتاح الكعبة لم يكن قد أسلم بعد ، ومع ذلك بقي هذا الأمر له واستمر إسناد مفتاح الكعبة إليه لا عدوان عليه ولا على شيء من حقوقه الشخصية والاجتماعية والدينية على سواء .

الحلم والكرم من مناهج الدعوة

إن الدعوة لكي تنجح لابد أن يكون صاحبها ذا حلم بعيدا عن الانتقام والتشفي ، وقد كان النبي ﷺ لا يحب الانتقام لنفسه ، بل يصفح ويعفو . فهذا صفوان بن أمية مع ما عرف عنه من كراهية للرسول ﷺ ومحاولته التخلص منه قد أمنه الرسول ﷺ بعد فتح مكة ،وكان بمكنه الانتقام منه ؛ وقد أبلغه بالأمان عمير بن وهب الذي أبلغه أمان رسول الله ﷺ ، وحمل إليه عمامته عنواناً على هذا الأمن .

ولما قدم على الرسول ﷺ قال : اجعلني بالخيار شهرين ، فقال له : [أنت بالخيار اربعة أشهر] وهكذا فالرسول كان أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس وكان يفتح أبواب الدعوة والإقناع لمن أراد غير مكره لأحد على الإسلام .

وهذا أبو سفيان يوم الفتح يطلب له العباس بن عبد المطلب الأمان ، وكان العباس يحدثه أن الرسول لو ظفر به ليضربنّ عنقه ، ثم أركبه العباس بغلة رسول الله ﷺ ــ حلفه ــ ليلة الفتح ، وكلما مرّ بكتيبة أو لواء من ألوية المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، وقد كان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عرف أبا سفيان ، فأسرع إلى رسول الله ﷺ يقول : هذا أبو سفيان

امكنني الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال العباس قد أجرته يا رسول الله . فمهلا يا عمر ، ثم طلب الرسول ﷺ من العباس أن يذهب بأبي سفيان إلى رحله ثم يعود به في الصباح ، وحينما جاء عرض عليه الإسلام قائلا : ويحك يا أبا سفيان . الم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي انت وأمي ، ما احلمك وأكرمك وأوصلك ! والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد ، قال : [ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي انت وامي ، ما احلمك واجملك وأوصلك ، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس ، ويحك أسلمْ واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق وأسلم .

وهذا طريق انجاح الدعوة ، فالعفو مطلوب ، والأمن مطلوب ، ومن طلبه اعطيه ، كما قال تعالى متحدثا عن الوفاء بالعهد لمن أراد الأمان حتى ولو كان كافرا . ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ [1] .

وقد أرسى ﷺ مبادئ حرية الرأي ، والتسامح ، تلك الأسس التي قام عليها بناء الدولة الإسلامية ، ليضرب لقائده الأول المثل الأعلى في قبول الرأي ، والرأي الآخر على أسس من القيم الإسلامية التي تستأصل الحدة والشطط بالإدراك للمسئولية ، والحفاظ على كيان الأمة وعدم المساس بأمنها وسلامتها ، وتبرهن على أن الإسلام لا يقوم على العنف والقتل ،

---

[1] التوبة ٦

أو التعدى ، بل يقوم على الإقناع بالحجة والدليل ، وعرض الأمـــر أمـــام أصحاب الرأى والمشورة ، والأخذ بالآراء المعتدلة فى معالجة الأمور .

ها هو ذا النبى ﷺ تصدى لبعض المعارضين ، فيقابلهم بالحجـــة ، ويبين لهم أنه لا يضيره ولا يغضب لما يوجه إلى شخصه الكريم من لـــوم على تصرف ، أو نقد لوجهة نظر ، إذا اعتُرِض على حكم أمضاه .

ويعالج نقد الناقدين بما يبصر بصحة الحكم ، وسلامته فـــى رويـــة وأناة .

ثم إنه فى مجلس وزرائه ، ومستشاريه يمســـك بزمـــام الأمـــور ، فلا يدع الامر يفلت من يده ، فيسمح لهم بإبداء وجهات النظر ، وينفذ منهـا ما يراه مدعماً لأمن الدولة ، ومحققاً لسلامة أهلها دون أن يستعمل القســوة أو الانتقام .

يحدث أبو سعيد الخدرى ـــ فيما رواه البخارى بسنده ـــ قال : بعـث على بن أبى طالب ـــ رضى الله عنه ـــ إلى رسول الله ﷺ مـــن اليمـــن بذهيبة (وهى قطعة من الذهب الذى غنمه المسلمون من أعدائهم) وكانت تبراً ، فقسمها النبى ﷺ بين أربعة نفر ، هم ، عيينة بن بدر ، والأقرع بـــن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحقَّ بها من هؤلاء ، قال أبو ســـعيد : فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فقال . [**ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءً ؟**] قال : فقام رجل غائر العينين ، مشـــرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشـــمّر الإزار ،

فقال يا رسول الله : اتق الله ، قال : [ويلك ، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله ؟] قال أبو سعيد : ثم ولى الرجل ، قال خالد بن الوليد ، وفي رواية : قال عمر : يا رسول ألا أضرب عنقه ؟ قال ﷺ : [لا ، لعله يكون يصلي] ، فقال خالد : وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله ﷺ : [إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم] قال :ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ (يعني وهو منصرف مولٍ) إنه يخرج من ضئضئ هذا (أي ـ من نسله) قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وأظنه قال : لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود[1] .

ونرى ـ أيها القارئ الكريم ـ من هذا الحديث أن النبي ﷺ قسم الذهبية بين أربعة نفر جلهم من المؤلفة قلوبهم ، ولما تدخل الرجل الأول معترضاً على هذه القسمة نبهه النبي ﷺ على أنه نبي الله الأمين على وحيه ، وأنه لا يتصرف إلا بما فيه المصلحة للأمة ، ولخير هـا ، ولما يدفعها ، ليرد كيد الكائدين ويمنع أهل الشغب من إحداث القلاقل والفتن ، ولما قام الرجل الثاني ووجه للنبي ﷺ حديثه الغليظ ، قائلاً له : اتق الله ، كان النبي ﷺ متحلياً في رده بالحكمة السياسية والخلقية ، وبحلمه الواسع ، وصدره الرحب ، إذ لا يقبل أي إنسان يوزع العطايا على بعض مرءوسيه ، أو يوزع عائداً من عوائد الدولة على بعض الناس ممن يراهم أكثر حاجة من غيرهم ، لا يقبل أي إنسان فعل ذلك أن يوجه إليه اللوم

---

(١) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، ج١٨ ، ص٧

على هذا التصرف الذي لم يدرك حكمته ، ولا أهدافه ، ولا آثاره التي تفيد في إصلاح طوائف من المجتمع

ولو أن لائماً لام زعيماً له على مثل ذلك لقويل في مجتمعاتنا الحديثة بالصرامة والعنف والجزاء الرادع لخروجه على التقاليد المرعية .

ولما أراد بعض كبار الصحابة قتل الرجل نهاهم النبي ﷺ عن ذلك لاحتمال صدقه فإن الرجل يقيم الصلاة فيشفع ذلك له .

والنبي ﷺ يعامل الناس بحسب ظاهرهم ، لا بحسب الباطن من أمرهم ، ويضرب الرسول ﷺ مثلاً عالياً في عدم الأخذ بالشبهة والظنة ، ولم يحكم على الرجل بأنه كافر أو منكر للنبوة ، إذ لا يحكم على إنسان بذلك لمجرد بادرة تبدر منه ، فالأمور الداخلية لا يعرفها إلا الله سبحانه الذي لم يأمر بالأخذ بالشبهة والظنة [**إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**] .

ثم نبه النبي ﷺ على ملاحظة هذا الصنف من الناس ، وألا يتركوا دون مراقبة ، فقد نظر إلى الرجل ، وبين ما يحدث مستقبلاً من خروج نسله ، متمثلين بسلوكه المشين الذي يخرجهم من طاعة أولياء الأمور ، وعلى الأمة أن توجه مثل هذا النشء بتوجيهه الوجهة الصالحة ، فهو مدير للأمة كلها .

ملاقــاة الوفــود
وشرح الدعوة لهم

لم يأل النبى ﷺ فى سبيل نشر دعوته أن يغشى الساحات كلها ، وأن يبذل جهده فى اللقاءات التى قد تثمر فى اتجــاه النــاس إلــى الإســلام ، ودعوتهم إلى الله ، وكانت تلك اللقاءات تقوم على عرض وجيه لهم فــى أسلوب جذاب وفكر مستنير وحجج وإقناعات لا تعرف الإكراه أو البغــى أو البطش ، وإنما يلتقى بهم فى حفاوة وتبجيل ، ويسمع منهم وجهة نظرهم ثم يعرض عليهم ما جاء به عن ربه عرضا طيبا ويطلب منهم النظر فيه لأنهم سيجدون فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة .

فهذا وفد تميم يقدم على رأسه عطارد بن حاجب بن زرارة التميمــى فى وفد من أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقــان ابن بدر التميمى أحد أشراف بنى سعد وغيرهم ، وينــادون الرســول ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمــد ، وقــد آذى رســول الله ﷺ صياحهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك ، وقــد نــزل فــى أمرهم : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [1] .

---

(1) الحجرات : ٤

وقد تركهم الرسول ﷺ علـــى طبيعتـــهم وســـمح لـــهم أن يقولـــوا ما يريدون ، فأذن لشاعرهم وخطيبهم أن يقول ، فافتخر خطيبهم بعزهـــم وكثرة عددهم ، وعطاياهم ، ثم جعل رسول الله ﷺ خطيبه ثابت بن قيـــس الشماس يجيب خطيبهم باصطفاء أشرف الخلق محمد ﷺ نبيـــا ورســـولا كريما ، ودعوته إلى إيمان الناس بالله تعالى ورسوله وأن من صد دعوتـــه واعتدى عليها فله القتل والدمار .

ثم جاء دور الشعر فتكلم الزبرقان بن بدر مفاخرا بقوله

نحـــن الكـــرام فـــلا حـــي يعـــادلنا

من الملـــوك وفينـــا تنصـــب البيع

حتى انتهى من قصيدته ، فدعا الرســـول ﷺ شـــاعره حســـان بـــن ثابت فأنشد قصيدته في الرد عليه قائلا :

إن الذوائـــب مـــن فهـــر وإخوتـــهم

قـــد بينـــوا سنـــة للنـــاس تتبـــع

وكانت قصيدة حسن بيانا للناس أوضح أثر الرسول وأصحابه فـــي الشجاعة والخير والفضائل .

أكـــرم بقـــوم رســـول الله قـــائدهم

إذا تفـــاوتت الأهـــواء والشيـــع

وهكذا كان العرض على وفد تميم بما يوضح مآثر الإسلام ورســـالة محمد ﷺ .

فهي مباراة اعلامية أدت في النهاية إلى إسلامهم .

كتبه ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى من العرب

سلك الرسول ﷺ في إيصال دعوته للناس طرق الإعلام لمن لم يسمع بالدعوة من غير من يعيشون في مكة أو المدينة ، ليشرح أصول دعوته لهم ، فبعث إليهم بالكتب والرسل ليبلغوهم الرسالة الجديدة ومبادئها التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم

فهذا كتابه ﷺ إلى يهود خيبر يقول فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى إلا أن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ [1] .

وإني أنشدكم بالله بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيبس لآبائكم حتى

---

(١) الفتح : ٢٩

لنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتموني ، هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي فأدعوكم إلى الله ، وإلى نبيه "

إنه حجاج منطقي ، واتخاذ لطرق الإقناع ، فهو يطلب منهم الإيمان بما عندهم في كتابهم " التوراة " ، ويسلك معهم مسلك المودة حين يحدثهم عن أخيه موسى ، فهو يعلن لهم تصديقه لرسالته وما جاء به في عصره ، ويطلب منهم الإيمان بمحمد لأن موسى أخبر عن رسالته ، وعن أمته ، فليبحثوا عن صفته – عندهم – في التوراة ، ليتثبتوا أنه رجل حق لا يطالبهم إلا بما ثبت في كتبهم إن كانوا مخلصين مؤمنين

وعلى هذا أرسل الرسول رسله وكتبه إلى بعض القبائل العربية ، فقد ارسل خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا ودخلوا فيما دعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام ، وكتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ إلى أن كتب إليه الرسول ﷺ يأمره بالمجئ بعد أن علم من خالد – في رسالة منه – بإسلامهم فقدم مع وفد لهم إلى رسول الله ﷺ .

كما كتب الرسول ﷺ كتابا إلى قوم رفاعة بن زيد الجذامي الذي أسلم وحسن إسلامه وفيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة ابن زيد إني بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله . إلخ " ، وقد أجابوا وأسلموا وعلله كتبه ﷺ إلى مخلاف

حارف ــ مدينة في اليمن ــ ومن يقيم بها من قبيلة همدان أرسله مع مالك بن نميط ، أحد وفد همدان الذى قدم إلى رسول الله ﷺ من قبل

وهكذا نجحت دعوته ﷺ لهؤلاء وغيرهم ممن أرسل إليهم وتركـــوا ما كانوا عليه من معبودات واعتقادات إلى عبادة الله وحده وآمنوا ــ بعـــد اقتناع ــ بما جاء به الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

منهج الإعلام الخارجي

اتخذ الرسول ﷺ منهج الإعلام الخارجي لمن حوله من الدول ، فأرسل كتبه إلى بعض الملوك [1] ، فأرسل إلى كسرى شيرويه ملك الفرس ، وإلى هرقل عظيم الروم ، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر وإلى ملك الحبشة والبحرين واليمامة .

وكانت كتبه إليهم إظهارا لنبوته ، ودعوة لهؤلاء الذين يقودون أقوامهم بالحسنى ، ليصلوا إلى الحق بالإيمان بمحمد ﷺ موضحا لهم أن الرسالات الإلهية متتابعة ، وأن رسالته ﷺ امتداد لهذه الرسالات ، وأن الكتب السابقة على القرآن الكريم فيها نبأ بعثة محمد ﷺ ، وفيها أن من يصاحب بعثته فعليه الإيمان به ، ومن لم يؤمن به فإنه آثم إثما كبيرا ، وهذا ما تحفظه كتبهم السابقة كالتوراة والإنجيل .

---

(١) كانت هذه الكتب عقب صلح الحديبية سنة ٦ من الهجرة ، وقيل غير ذلك انظر صحيح البخاري بشرح العيني – ج١٨ ، ص٥٨ ،والسيرة النبوية للأستاذ / محمد محمد مصطفى النجار ، ط عام ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م ، ص٢٤٥

وكان يصدر هذه الكتب بقوله " بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى ملك الفرس " [1] ، أو " إلى هرقل عظيم الروم " [2] أو " إلى المقوقس عظيم القبط " [3] ، أما بعد ،، سلام على من اتبع الهدى . أسلم تسلم فإن لم تسلم فعليك إثم كذا .

---

(١) نص كتابه إلى كسرى : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس ، أما بعد السلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله فإني انا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس " العيني على البخاري " ، ج١٨ ، ص٥٨ . وقد تلقى كسرى كتاب الرسول وهو بالمدائن عاصمة ملكه ، وقد مزق الكتاب ودعا عليه الرسول حينما بلغه ما صنع بأن يمزق الله ملكه ، فمزق سريعا في أقل من عشرين سنة ودخل تحت حكم المسلمين ، انظر (العيني السابق والسيرة النبوية السابقة ، ص٢٤٧) .

(٢) نص كتابه ﷺ إلى هرقل " . بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم أما بعد السلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (آل عمران ٦٤)

(٣) لما تسلم المقوقس كتاب النبي ﷺ قابله باحترام واستقبل الوفد استقبالا حسنا ، وزود الوفد بهدايا قيمة ، ومال إلى الإسلام لكنه كان ينتظر موقف هرقل الذي يحكم مصر من قبله ، ونص كتابه ﷺ إلى المقوقس " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد ،، فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به –

وهذا يعني أن الرسول ﷺ كان يشرح لهم رسالته مؤكدا مصدق الرسالات السابقة، ومبينا أن رسالته امتداد لها، وإن الإيمان بمحمد ﷺ ورسالته يعني أن يأخذ المؤمن بها من أهل الكتاب أجرين، الأجر الأول عن إيمانه بموسى أو عيسى عليهما السلام، والأجر الثاني عن إيمانه بمحمد ﷺ، وإن أعرض حسر الأجرين معا، وحل به الإثم الذي ذكرته التوراة، أو الإنجيل لمن يدرك محمدا ولا يؤمن به.

وهذا حجاج علمي قديم جاء به القرآن ـ أيضا ـ على سبيل التذكير لهؤلاء، كما قال تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾** [1].

فالكفلان نصيبان من الثواب نصيب الإيمان السابق، ونصيب الإيمان بمحمد ﷺ.

= **شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾** (آل عمران : ٦٤)

ورد المقوقس على كتاب رسول الله ﷺ بكتاب آخر ردا جميلا يقول فيه. (أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، فقد علمت أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وكسوة، ومطية لتركبها والسلام عليك). انظر: (عيون الأثر ٢ /٢٦٦، وتاريخ الطبري ٣/٨٥).

(١) الحديد : ٢٨.

وكان يحمل تلك الكتب إلى الملوك سفراء من أصحاب رسول الله ﷺ من التجار الذين ترددوا على هذه الأقطار، وتعرفوا لغاتها، واتخذ الرسول لنفسه خاتما من فضة نقش عليه (محمد رسول الله) فختم به الكتب وأعطاها للسفراء، وقد بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس.

وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر، وكان بالإسكندرية وقت تسلمه الكتاب

وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر، وعباد ابني الجلندى الأزديين ملكي عمان.

وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال، وهودة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين.

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن كلال الحميري ملك اليمن [1].

(1) السيرة لابن هشام ٤/١٨٧، والسيرة لمحمد مصطفى النجار، ص٢٤٥

وهذا كله كان عناية من النبي ﷺ بأمر الدعوة إلى الخارج ، لأنها دعوة عامة للناس جميعا ، كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [1] ، وقال ﷺ : [بعثت إلى الناس كافة]

(١) سبأ ٢٨

تصحيح مسار الدعوة
على الفهم الصحيح للإسلام

إن الداعية لابد أن يكون على علم بكل أمر يجري من حوله أو يتصل بمن يقوم بدعوتهم ، فإذا وجد مشكلات قد طرأت ربما تؤدي إلى عواقب دون أن أثر ضار بالدعوة فيه يسرع إلى علاجها ، والتصدي لها ببيان الوجه الصحيح فيما عرض من مشكلات ، أو وجد من فهم خاطئ ، وتلك هي أسس الدعوة ، ووسائلها الصحيحة ، لا أن يعيش الداعية بعيداً عن المشكلات ، ويتناول أموراً لا صلة لها بالمجتمع والحياة .

هذا رسول الله ﷺ يجد ثلاثة من أصحابه يذهبون إلى بيته يسألون عن عبادته ﷺ ، فيعرفون أنه يصلي كذا ، وينام ، وأنه يزكي كذا وأنه يصوم كذا ، وأنه يؤدي من سائر الطاعات كذا (فكأنهم تقالوها) — أي عدوها قليلة — فقال بعضهم لبعض : إن النبي ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو — لذلك — يؤدي قليلاً من الطاعات ، فتعاهدوا فيما بينهم ، فقال أحدهم : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الثاني : وأنا أقوم الليل ولا أفتر ، وقال الثالث : وأنا لا أتزوج النساء ، فلم علم الرسول ﷺ بما اتفقوا عليه لم يترك الأمر هكذا ، وإلا لم يكن ساهراً على أمر دعوته إلى الله ورعايتها لبيين الوجه الصحيح فيها وفيما يفعل القوم أو يتركون .

فخرج — عليه الصلاة والسلام — فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : " ما بال رجال يقولون كذا وكذا ؟ أما والله إني

لاخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكنى أصلى ، وأنام ، وأصوم ، وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى "

فبهذا أدركت هذه الجماعة خطورة ما أقدمت عليه مما يخالف ما جاءت به الشريعة الإسلامية التى لا تعرف الشدة والإثقال ، ولا تعرف إرهاق النفس والجسم بصعاب الأعمال ، ولا تعرف العزلة عن الحياة أو الرهبانية ، فلا رهبانية فى الإسلام .

وهكذا فالمطالب بالإسلام مطالب بمبادئ تصلح نفسه ، وتصلح مجتمعه ، وليست الدعوة قهرا للنفس ، وإتعابا لها ، وهكذا يختلف الإسلام عن النحل والديانات التى جعلت الزهد والتنسك معيارا للفضائل الدينية ، وجعلت الإنسان يعيش معزولا عن مجتمعه ، وأمته فالإسلام دين ودنيا ، وكما قال تعالى : **﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾** [1] .

كم نرى خطباءنا ودعاتنا بحاجة إلى تنبيه الناس إلى إصلاح حياتهم وسلوكهم وفق ما جاء به الإسلام وألا يتركوهم ليقول كل فى الإسلام بما لا يصح أن يقال أو يفعل ، وبذا تنجو الدعوة من الذين يقولون فى الدين بغير علم أو معرفة فيضلون ، ويضلون من يجرى فى فلكهم ، أو يسير على منهجهم المتشدد الضار .

---

(١) الأعراف ٣٢

دعوة التيسير

من الأمور التي يجدها الداعية طريقا لنشر الدعوة أن يعرض دعوته في صورة سهلة ، ويجد الحلول التي تؤدي إلى خير الناس ، وإلى عدم تضييق الأمر عليهم ، ما دام ذلك لا يتعارض مع قواعد الشريعة .

فالإسلام جاء لصلاح البشرية وخيرها، وإبعادها عما يضع عقبات في سبيل انطلاقها إلى آفاق رحبة من التقدم ، ولا يكلف النفوس شططا ولا مشقة ، وبذلك يفتح الطريق لنجاح الدعوة والاستجابة لها .

أما هؤلاء الذين يبحثون عما يسد الطرق أمام الناس وينغص عليهم حياتهم ، فذلك يدفع إلى الابتعاد عن تلك الدعوة ، والنفور منها

وقد كان ﷺ في منهجه للدعوة يسلك طرق التيسير ، ويبحث عما ينفع الأفراد ، والجماعات ، ويبتعد عما يحجب عنهم الخير ، أو يتعبهم ، ويقلقهم ، أو لا يناسب إمكاناتهم ، وطاقاتهم التي يمكن أن يبذلوها ، وما يمكن أن يتحملوه

هذا النبي ﷺ حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : **يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر** " ، وقال له فيما قال : " **ادعهم إلى الشهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم شهدوا بذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها**

وبين الله حجاب " وهكذا علمه ﷺ الرفق بهم ، والتدرج في التكاليف الشرعية ، وحينما جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، وقال له يا رسول الله علمني ما افترض الله علي في الإسلام وفي رواية علمني عملاً أدخل به الجنة ، فقال له النبي ﷺ : **فرض الله عليك خمس صلوات في اليوم والليلة** فقال الأعرابي : هل علي غيرها ؟ قال له النبي ﷺ : لا ، إلا أن تطوع ، فقال له فما فرض الله علي في الصيام ؟ قال له **فرض عليك صيام شهر رمضان** ، قال : هل علي غيره ؟ قال له : **لا إلا أن تطوع** ، ثم بين له فرض الزكاة ، والحج وهو يقول : هل علي غير ذلك ؟ ويقول له النبي ﷺ : لا ، إلا أن تطوع فقال الأعرابي : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال النبي ﷺ : **أفلح إن صدق** ، وفي رواية : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

هكذا يبشر الرسول ولا ينفر وييسر ولا يعسر .

فما أحوجنا نحن الدعاة إلى الله أن نفتح للناس باب التيسير في عباداتهم ومعيشتهم ، وأمورهم ، وأن نبين لهم فتاوانا وآراءنا في مسائل الدين بما يفرحهم وييسرهم ، ونأخذ بأيديهم سواء كان ذلك في صلاة أو صيام أو حج أو معاملة أو سلوك اجتماعي ، وأمور دنياهم وما يأتون وما يدعون من الأعمال والأقوال ، وأن نفتح أمام التائب منهم أبواب التوبة ولا نغلق طريق الرحمة في وجوههم ، بل نبين لهم رحمة الله الواسعة ودين اليسر ،وحبه لمن يدخل فيه وإكرامه له ،ولا حرج ولا تضييق في شرع الله .

الترغيب والترهيب

إن الداعية إلى الله لكى تنجح دعوته لابد أن ينصح قومه ، والتابعين له ، ويؤثر عليهم تارة بالترغيب ، وتارة أخرى بالتخويف ، ويوازن بين الأمرين ليحدث التأثير على النفس البشرية ، فهى دائما بين الطمع والرجاء ، والخوف والرهبة ، أما التركيز على جانب واحد فقد يكون له أثر ضار على الدعوة .

وقد جاء القرآن الكريم مشتملا على العنصرين معا فهو يذكر أن الله غفور رحيم ، ويذكر أنه شديد العقاب ، كما قال تعالى : ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ (1) ويقول عز حكمه ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا * أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾ (2)

---

(1) غافر ١–٣

(2) الكهف ٢٩–٣١

وهكذا يرد في القرآن الكريم كثيرا التوازن بين الرحمة والشدة والتجاوز والمعاقبة .

والرسول ﷺ كان يجمع بين الأمرين في دعوته للناس ، فيرغبهم فيما عند الله من الفضل والنعم والجنة ، ويخوفهم من عذابه — أيضا — حتى يستقيموا على طريق الله ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " **إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل أتى قوما فقال . إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا فنجوا ، وكذبته طائفة أخرى فصبحهم الجيش فاجتاحهم** "

فالرسول ﷺ يبين لهم أثر الإيمان بدعوته ، والإعراض عنها ، فمثله في دعوته لهم ودلالتهم على ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم ، مثل هذا الرجل الذي كان يرسله قومه لاستطلاع أخبار العدو الذي يريد أن يهاجمهم ، فإذا عرف أن جيش الأعداء يريد الهجوم على قومه صعد إلى أعلى الجبل ، وخلع ثوبه ، ولوح به في الهواء فيراه قومه فيعلمون — على حسب اصطلاحهم الذي تعودوا عليه — أن الجيش قادم إليهم فيستعدون له ، أو يهربون من وجهه لينجو من شره الذي يريد إنزاله بهم

فجيش الله قادم إلى الناس ، والنبي ﷺ منذر ، فمن آمن بالله ورسوله **وعمل الصالحات لاقاه الجيش في مودة ومحبة ، ولم ينزل به أذى ، وأما من عصى أمر الله ورسوله فإن عذاب الله نازل به لا محالة وقاض عليه .**

لعل خطباءنا ودعاتنا يستعملون الترغيب في الطاعة والتخويف من المعصية ، دون أن يقتصروا على جانب التخويف فحسب ، حتى تنجح دعوتهم ، ويقبل عليها الناس .

تواضع المؤمنين

امتدح الله تعالى صفة التواضع ، وقبح من الكبر البشرى فالتواضع خلق كريم من أخلاق الإسلام السمح ، وقد جعل المولى سبحانه المتواضعين من عباد الرحمن المنسوبين إلى جلاله سبحانه كما قال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ [1] . فهم الذين يتبعون تعاليمه ويدينون بالولاء والطاعة والانقياد للأوامر الإلهية ، لأنهم يحبون الناس ، ويخفضون لهم جناحهم من الذل ، ويعدون أنفسهم سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، وقد ولدوا من أب واحد ، وأم واحدة ، فلا تفرق بينهم الألقاب ولا الأحساب ، ولا الغنى أو الفقر ، ولا المناصب والرتب ، وليست العصبية القبلية إلا من دس الشيطان وكيده ، والمال رائح وغاد ، وأت ورائل ، وحطام الدنيا الفاني كله إلى زوال ، وكل شئ يمكن أن ينتقل من شخص إلى آخر ، فيصبح الفقير غنيا والغني فقيرا ، وصاحب المنصب يمكن أن يزول عنه بهاؤه ورواؤه بين عشية وضحاها ، إن الله تعالى قد حسم ذلك بجعله الناس سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وقد قال سبحانه :

---

(١) الفرقان : ٦٣

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [1] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه مر عليه رجل غنى ، فقال ﷺ لأصحابه : **ما تقولون في هذا ؟** فقالوا : حقيق إذا خطب أن ينكح وإن قال أن يستمع ، وإن شفع أن يشفع ، ثم مر رجل فقير ، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : **ما رأيكم في هذا ؟** فقالوا حقيق إذا خطب ألا ينكح وإن قال ألا يستمع وإن شفع ألا يشفع ، فقال عليه الصلاة والسلام : **هذا** – يقصد الرجل الفقير – **خير من ملء الأرض مثل هذا** – يقصد الرجل الغنى – فبين ﷺ أن مقاييس الناس مقلوبة فى نظرهم ؛ فينظرون إلى الغنى نظرة تقدير فى الوقت الذى ينظرون فيه إلى الفقير نظرة ازدراء .

والأولى والأجدر تقدير الناس بعضهم لبعض ، وأن يتواضع الإنسان دون فخر أو كبر كما قال تعالى : **﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾** [2] .

وقد كان الرسول ﷺ مثلا فى التواضع الجم ، فقد كان يسير أو يجلس بين أصحابه فلا يكاد يعرف ، لأنه لا يميز نفسه منهم حتى كان القادم عليه طالبا له يسأل . أيكم ابن عبد المطلب ؟ وحينما دخل عليه رجل

(1) الحجرات ١٣ .
(2) الإسراء ، ٣٧ – ٣٨ .

ـ وقد هابه ـ قال له . هون عليك فإنى أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة

والكبرياء لله تعالى وحده ، لا يصح أن يشاركه فيها غيره فهو الكبير المتعالى ، لأنه المنعم المتفضل على البشرية كلها ، وقد قال سبحانه في الحديث القدسى " **الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فيهما أذقته عذابى ولا أبالى** " .

خطبة الرسول ﷺ العالمية وحقوق الإنسان

حج رسول الله ﷺ حجة واحدة هى حجة الوداع ، وكان هذا إيذاناً باكتمال الإسلام . كما قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (١) .

وكانت خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة النبوية خطبة عالمية تعد دستورا للأمة الإسلامية ، والعالم كله يجب معرفة ما اشتملت عليه من مبادئ وتعاليم تؤدى بالمجتمع الإنسانى إلى الاستقرار ، والأمن ، والنهضة والتقدم ، وستبقى – على مر الدهور – مجالا لتحليل ذوى الرأى ، وأهل الخبرة من الساسة ، والعلماء والمفكرين ورواد النهضة فى كل زمان ومكان ، بما تتناول من أحدث النظم والأفكار العالمية فى إصلاح المجتمعات ، والأخذ بيدها إلى عزها وسموها .

وهى تشتمل على عدة محاور تتناول حقوق الإنسان اعترافاً بها وإعلانا لها قبل أن تعرف الدساتير البشرية هذه الحقوق ، وقبل أن تظهر مواثيق حقوق الإنسان فى العالم بعدة قرون .

---

(١) المائدة : ٣

وهذه هى أهم المحاور:

المحور الأول : الحفاظ على سلامة الأرواح والأبدان :

فتحدث النبى الكريم فى خطبته العالمية عن منع الاعتداء على النفس بالقتل وسفك الدماء ، فقال : " **أيها الناس إن دماءكم عليكم حرام** " ودعـا إلى القضاء على ظاهرة الثأر بوسائل العفو والصفح عن القـاتل ، ونبـذ الأحقاد والتفرق بين الأسر ، والشعوب ، يقول ﷺ " " **إن دماء الجاهليـة موضوعة وأول دم أضعـه دم عـامر بـن ربيعـة بـن الحـارث بـن عبد المطلب** " .

المحور الثانى : سلامة الأموال من العدوان :

فالرسول ﷺ ــ فى خطبته ــ منع الاعتداء على الأموال ، منـع أى نوع من أنواع اغتصاب المال والاستيلاء عليه بالباطل دون حق ، فيقول : " **أيها الناس : إن دمائكم وأموالكم عليكم حـرام إلـى أن تلقـوا ربكـم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللـهم اشهد** " وحرم أخذ الأموال دون رضا أصحابها ، أو رضا المجتمع الـذى يملكها ، يقول ﷺ " **أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت . اللهم اشهد .**

ومنع نجاسة الأموال ، وذلك عن طريق الكسب غـير المشـروع ، والحصول على المال الحرام من أى طريق ، وحرم مسلك عمه العباس فى جمع المال عن طريق غير شريف ــ وكان من أثرياء مكة ومرابيـها ــ

يقول . [إن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ بـه ربـا عمـي العباس بن عبد المطلب] .

المحور الثالث : سلامة الحقوق من الضياع :

فمنع الرسول الكريم ضياع الحقوق ، وحث الناس علـى حفظـها ، وصونها لأصحابها ، لبأس الإنسان على حاجاته ومقتنياته أن ينال منـها ، أو تصاب بأذى المعتدين عليها من أصحاب الدمم الحربية ، وحذر مما قـد يقع على ممتلكات الآخرين من التلف ، أو الضياع أو استيلاء الغـير ؛ لأن هذا يضر الأمة في رحالها وازدهارها ، يقول : [فمن كانت عنده أمانـة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها] .

المحور الرابع : سلامة النفس من الهوى والزيغ والضلال :

فمنع ﷺ ونهى عن طاعة الشيطان ، والجري وراء الشهوات التـي تصيب الإنسان وتنأى به عن السلوك المستقيم ، يقول . [أيها النـاس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيمـا سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم] ويقـول : [وإن مـآثر الجاهليـة موضوعة إلا السدانة والسقاية] .

المحور الخامس : البعد عن اختلاف الآراء والأفكار بما يضــر بالصالح الاجتماعي العام :

فنهى ﷺ عن تشتت الرأى وبعثرته ، فالخلاف يؤدى إلى التمــزق ، والتقاطع ، والضعف ، والتفكك والانحلال ، وحث ﷺ على الاتفاق فيما هو نافع مفيد بالاهتداء بالمثل العليا التي جاءت في القــرآن الكريــم يقــول : **[فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكــم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله . ألا هل بلغت اللهم اشهد] .**

المحور السادس : تكريم المرأة وسمو مكانتها فـــي الإســلام ودورها الفعال في خدمة المجتمع :

فدعا ﷺ إلى العناية بها ، وبين حقوقها وواجباتها وجعلها ذات شأن في إصلاح المجتمع ؛ لأنها أساس من أسسه القوية ، يقول : [**أيها النــاس إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، وعليكم رزقــهن وكسـوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان فاتقوا الله في النساء واسـتوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت اللهم اشهد]**

المحور السابع : دفع التفاضل بالأحساب والأنساب ــ كما هي دعوى الجاهلية ــ وجعل العمل الجاد هو أساس التفاضل والدعوة إلى وحدة الأمم والشعوب :

فقد دفع الرسول الكريم ﷺ أن يكون الحسب والنسب والمال والجاه والسلطان أساس للتفريق بين الناس ؛ لأن الله تعالى خلقهم متساوين في الحقوق والواجبات لا فضل لعربي على عجمي ولا فضل لأبيض على أسود إلا على أساس عمله ، وجهده ، وذكر الناس بأمرين لتحقيق الوحدة ، واجتماع الشمل هما : توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ، وبيان ما يجب عليهم من معرفة وحدة الأصل الإنساني فالناس يعبدون رباً واحداً ، وينحدرون من أب واحد مخلوق من التراب ، يقول : [**أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . ألا هل بلغت اللهم اشهد . فليبلغ الشاهد منكم الغائب**] .



محتويات الكتاب

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٢
الباب الأول	
نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه	١٥
حب رسول الله ﷺ	١٧
الميلاد المحمدي وتصحيح مسار الإنسان	١٩
مولد الرسول ﷺ وكيف نحتفل به	٢٣
رضاعته وشق صدره	٢٦
صفة النبي ﷺ	٢٨
المصطفى ﷺ	٣١
أبو القاسم ﷺ	٣٣
حرز الأميين	٣٥
نبي الملحمة ﷺ	٣٧
الشفيع ﷺ	٣٩
كان خلقه القرآن	٤١
الرحمة المهداة	٤٩
أدبه وسلوكه مع الناس	٥١

زهده ﷺ	٥٣
الباب الثاني	
منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله	٥٥
البعثة المحمدية	٥٧
الدعوة .. شرح وتفصيل وبيان	٦٣
الصبر على الإيذاء	٦٧
النقاش والمفاوضة	٦٩
الثبات على المبدأ	٧٢
استعمال النصح المقرون بالتصميم والإرادة	٧٥
الرياضة منهج من مناهج الدعوة	٧٨
عقد الندوات بطلب الخصوم والحصافة النبوية	٨٠
حدبه ﷺ على المدعوين ورعايته لهم	٨٣
طريق الدعوة ليس طريق العنف والقسوة	٨٥
عرضه ﷺ نفسه على القبائل	٨٨
الهجرة وحسن التخطيط	٩١
معالم بارزة في الهجرة النبوية	٩٨
الهجرة والتضحية	١٠٧
التماسك والموازرة	١١٠
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	١١٢
منهج الرسول ﷺ أن يكون القتال دفاعاً لا هجوماً	١١٥

الأذن بالقتال	١١٨
انتصار بدر والدفاع المشروع	١٢١
أسلوب المعاهدات والصلح	١٢٥
استعمال الحكمة فى التعامل	١٢٨
سياسته ﷺ فى الدعوة	١٣٠
منهجه ﷺ منهج تأمين الناس على حقوقهم	١٣٢
الحلم والكرم من مناهج الدعوة	١٣٤
ملاقاة الوفود وشرح الدعوة لهم	١٣٩
كتبه ﷺ إلى أرباب الديانات الأخرى	١٤١
منهج الإعلام الخارجي	١٤٤
تصحيح مسار الدعوة على الفهم الصحيح للإسلام	١٤٩
دعوة التيسير	١٥١
الترغيب والترهيب	١٥٣
تواضع المؤمنين	١٥٦
خطبة الرسول ﷺ العالمية وحقوق الإنسان	١٥٩

طبع
بمطبعة وزارة الأوقاف
بطرة البلد

طبع بمطبعة وزارة الأوقاف